

د. نبيه القاسم
موقف السيرة النبوية
من التوراة واليهود
مؤسسة الأسوار - عكا
http://kotob.has.it

د. نبيه القاسم

موقف السيرة النبويّة من التوراة واليهود

مؤسسة الاسوار - عكا

د. نبيه القاسم:

موقف السيرة النبوية من التوراة واليهود

"دراسة"

طبعة اولى ٢٠٠٣م

إصدار

مؤسسة الاسوار - عكا

المطبعة العربية الحديثة

القدس - شارع هارون الرشيد ، هاتف : ٦٢٦٢٦٠٦-٠٢

المحتوى

مدخل للدراسة	٧
علاقة اليهود ببلاد العرب والإسلام	١١
السيرة النبوية	١٤
محمد بن اسحاق صاحب سيرة الرسول	٢٢
ابن هشام والسيرة النبوية	٢٥
السيرة النبوية واليهود	٢٩
الصدام العنيف بين الرسول واليهود في المدينة	٣٣
موقف اليهود من النبي قبل نزول الوحي وبعده	٣٧
عبد الله بن سلام الصحابيّ الذي آمن بالإسلام وأخلص	٤٢
خيبر . . والمواجهة الحادّة بين اليهود والمسلمين	٥٠
صفات اليهود الخلقية كما صوّرت في السيرة النبوية	٧٠
خلاصة موقف ابن هشام من اليهود كما يبرز في السيرة النبوية	٨٠
التحريف أخطر تهمة تُوجّه لليهود	٨٥
الإتّهام بتحريف كلام الله في كل ما يتعلّق بنبوّة محمد	٩٢
تطوّر الجدل الإسلامي اليهودي ودخول عناصر جديدة عليه	٩٨
ما بين "السيرة" لابن هشام و "إفحام اليهود" للسموأل المغربي	١٠٦
السموأل المغربي وتهمة اليهود بالنسخ .	١١٧
التحريف والتساؤل حول حقيقة نصّ التوراة	١٢١

السموأل المغربي وتهمة اليهود بالتحريف ١٢٥
قضايا أخرى تناولها السموأل المغربي ١٣٠
مصادر الدراسة. ١٣٨

مدخل للدّراسة

صراع الحضارات أو صراع الديانات ، شعارات تُطلق في عالمنا الذي نعيشه الآن تحمل في طيّاتها الكثير من التّداعيات وأيضا الكثير من التّخوّفات والرغبة في معرفة المستقبل الذي نجهل كينونته. وقد دفعني ذلك كي أعود ثانية لقراءة التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، ولكى أعود إلى دراسة جامعية كنت قد كتبتها خلال دراستي للماجستير في الجامعة العبرية في القدس حول " موقف السيرة النبوية لابن هشام من اليهود والتوراة " ، وقدمتها للبروفيسورة المرحومة يافه حافه لتسروس التي كانت نعم الأستاذة العارفة التي تأخذ بيد طلابها نحو المعرفة والدقة العلمية بعيدا عن أيّ مواقف آنيّة أو انحرافات تدفع إليها الأهواء والظروف المتغيّرة. عُدت إلى الدراسة وراجعتها ، عدّلت وغيّرت وأضفت ووجدت أُهمّية في نشرها لتكون بين يدي الطالب والدّارس لعلّها تُلقي بعض الضوء على ما يجرى الآن في هذا العالم الذي يحلو لحكامه أن يرفعوا الشعارات ويدقوا طبول الحرب اللامنتهية.

كان الإعتماد الرئيسي في عملي على " السيرة النبوية " المنسوبة لإبن هشام ، لأنها موضوع الدراسة والمصدر المُعتَمَد لها ، ولهذا تقيّدتُ بالمواضيع التي عرضها ابن هشام والقضايا التي عالجها ،

ولم أتطرّق إلى أمور لها علاقة مباشرة وأهميّة ، وكانت محورا رئيسيّا في الجَدل الديني تناولتها المصادر الأخرى التي اعتمدتُ عليها، وخاصّة القرآن الكريم، فآيات قرآنية عديدة عالجت قضيّة التحريف والنسخ والإنكار - موضوع الدراسة - ولكن هذه الآيات لم يذكرها صاحب السيرة، ولهذا لم أتطرّق إليها . كذلك الشأن بالنسبة لأمور مهمّة ذُكرت في المصادر الأخرى .

كذلك لم أستشهد بكل الحوادث والقصص والآيات التي ذكرها صاحب السيرة، لأنّني وجدتُ بعضها مُكرّراً، وبعضها متشابها، فاخترتُ الأهمّ والأكثر دلالة وإثارة . كما أنّني كنتُ أُلخص القصة أو الخبر لعدم الحاجة في النقل الحرفي للقصّة والخبر ، وهذا ما فعلته كثيراً في نقلي أو إشارتي إلى آية أو آيات قرآنية ، فكنت أنقل الجزء الذي له علاقة بالقضيّة المطروحة، مع الإكتفاء بالإشارة إلى موقع الآية من الكتاب .

اجتهدتُ خلال كتابتي للدراسة أن أعتمد على مصادر عديدة، منها القديمة ومنها الحديثة، مع الإهتمام بمكانة الكاتب ومصداقيته العلمية، وقد اكتفبتُ بذكر المصدر في كثير من الحالات في هامش المادة، دون تثبيته في قائمة " مصادر الدراسة " وذلك لأنّ الإعتماد عليه كان في نقطة محدّدة، كما أنّني في ذكر بعض المصادر لم أذكر اسم الكتاب الذي نُشر فيه البحث، وانّما اكتفيتُ بذكر كاتب البحث واسم موضوع البحث .

أمّا الفصل الأخير من الدراسة حول " تطوّر الجدل الإسلامي اليهودي في العصور المتوسطة " فقصدتُ أن يكون الكلام مُختصرا ومُحدّداً واكتفيتُ بنقل عناوين المواضيع التي عالجها كل من ابن حزم والسموءل المغربي في كتابيهما، دون الدّخول في تفاصيل البحث والوقوف عند القضايا المختلفة التي عرضاها مع أهمية هذه القضايا.

كان من الممكن التوسّع في هذه الدراسة، والتعرّض لقضايا عديدة ، والإستشهاد بمصادر كثيرة، لكن غاية الدراسة كانت محدّدة وتقتصر على موقف ابن هشام والسيرة النبوية من اليهود والتوراة، هذه السيرة التي أصبحت المرجع الأساسي لكل مَن يرغب في الإطلاع على حياة الرسول العربي الكريم وتتبّع أخباره وأعماله وأفكاره.

أملي أن أكون قد ساهمت في مزيد من المعرفة وفي هذا حسبي.

علاقة اليهود ببلاد العرب والإسلام

تعود علاقة اليهود بشبه الجزيرة العربية إلى عهود قديمة في التاريخ(١) ، والبعض يحاول تحديدها في القرن الأول بعد الميلاد، وبالتحديد سنة ٧٠م، السنة التي دمرت فيها مدينة بيت المقدس(٢) واضطر اليهود إلى النزوح منها والتوجّه إلى شمال بلاد العرب.

وقد تتابعت الهجرات اليهودية وتوغّلت في بلاد العرب حتى وصل بعضها إلى بلاد اليمن، واستطاعت هذه الجماعات أن تستغل النزاعات الدائرة بين ملوك مملكة سبأ وأشرافها لتقوية مركزها حتى أن أحد ملوك الدولة الحميرية في القرن السادس الميلادي اعتنق الديانة اليهودية وحاول فرضها على السكان، وخاصة مسيحيي نجران، الأمر الذي أدى إلى قيامه بمذبحة كبيرة (٣) كانت نتائجها وخيمة على البلاد إذ وقعت تحت الإحتلال الحبشي لعشرات السنين، وقد كان صدى هذه الواقعة كبيراً حتى أنها ذكرت في القرآن "سورة البروج الآيات من ٤-٨ " وعُرِف الملك الذي قام بمذبحة نجران "ذو نواس" بصاحب الأخدود.

أما في شمال شبه الجزيرة العربية فقد توزع اليهود على الواحات المتوفرة وأقاموا في تيماء وخيبر ويثرب وفدك (٤) ، كما أنهم أقاموا في الطائف، أمّا مدينة مكّة فلم يسكنها اليهود وإنّما

اكتفوا بالعلاقات التجارية مع سكانها(٥)، وقد يكون سكنها البعض ولكن لقلتهم لم يُشَرْ إليهم.

صحيح أن اليهود في هذه المراكز السكانية لم يشكّلوا القوة الرئيسية، وإنّما انكمشوا على أنفسهم في أحياء منعزلة، إلاّ أنهم استطاعوا أن يؤثّروا على قسم من السكان ويجعلوهم يعتنقون الديانة اليهودية، كما أن إتقانهم للغة العربية وتعاملهم بها، وحتى نبوغ شعراء منهم بالعربية(٦)، جعل أثرهم لا يتوقف عند العلاقات الإجتماعية والتجارية والقَبَلِيّة، وإنّما تعدّاه إلى التّأثير الفكري الديني، فعرف العرب الوثنيون آراء اليهود ومعتقداتهم، وردّدوها في مجالسهم. وكان لهذه المعتقدات مع المعتقدات المسيحية التي عملت عملها أيضاً بين العرب، الأثر الكبير على تهيئة الإنسان العربي لتقبّل الدعوة المحمدية الجديدة.

الإشارات

١ - معظم المصادر التاريخية تشير إلى العلاقة القوية بين العبرانيين وسكان الجزيرة العربية، خاصة أيام مملكة سبأ، وتذكر قصة ملكة سبأ " بلقيس " والملك سليمان .

٢- د . فلهلم رودلف - صلة القرآن باليهودية والمسيحية - ترجمة عصام الدين حفني ناصيف ص٥ .

٣- جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الجزء الثاني - ص٥٩٣-٥٩٤ .

٤- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب العربية - ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي -ص٢٨ .

٥- הנרי למנס - האסלאם- תרגום אפרים הרפז ו יוסף ריבלין - ע"17

٦- حتى، فيليب - تاريخ العرب - ترجمة ادوارد جرجي وجبرائيل جبور -الجزء الأول ص ١٥٢ .

السّيرة النبوية

السيرة "هي الترجمة المأثورة لحياة النبي محمد ﷺ، وأوّل ما استعملت للدلالة على هذا المعنى في مؤلف ابن هشام "هذا كتاب سيرة رسول الله"، وقد وردت بهذا المعنى أيضاً عند الواقدي وابن سعد حيث ورد قوله "هؤلاء أعلام بالسيرة والمغازي من غيرهم" (١).

بينما جونس يذكر أن لفظة "السيرة" وردت بمعنى سيرة النبي قبل استعمال ابن هشام لها عند المدائني على لسان الزهري الذي قال: قال لي خالد بن عبد الله القسريّ: أكتب لي النسب! فبدأت بنسب مضر وما أتممته، فقال: اقطعه! قطعه الله مع أصولهم، واكتب لي السيرة"! (٢)

وكلمة "السيرة" من الفعل "سار" "س ي ر" بمعنى عم، شاع "سار الشيء وهذا مثل سائر، والسيرة بمعنى الطريقة يُقال "سار بهم سيرة حسنة" وبمعنى "سلك" أي "ذهب في الأرض" (٣) وفي القرآن الكريم وردت في سورة طه آية ٢١ "قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى" بمعنى السنّة أو الهيئة.

وقد كانت كلمة "السّيَر" بالجمع هي الأكثر استعمالاً، وارتبطت الكلمتان "المغازي والسّيَر" مع بعضهما البعض، وكان يُراد بهما عند مؤرخي المسلمين تلك الصفحات الأولى من تاريخ

العرب والمسلمين، والحديث عن نشأة النبي وذكر آبائه وما سبق ذلك من أحداث لها صلة به(٤).

لم يكن "التاريخ" بمفهومه العلمي معروفاً عند العرب قبيل الإسلام، وإنّما كانت مادتهم التاريخية تعتمد على الرواية فيمايختص بأخبار الجاهلية الأولى وحديثهم عن آبائهم وأجدادهم وأنسابهم وفي غير ذلك من الأخبار التي لها علاقة بحياتهم، وكانت الذاكرة تقوم مقام الكتاب، وتنقل الرواية من الأب لأبنائه وهكذا دواليك.

ومع بداية الإسلام وظهور الدعوة الإسلامية، أصبحت أحاديث الصحابة وغيرهم فيما له علاقة بحياة الرسول ﷺ وأعماله تُشكّل مادة مهمة لتثبيت الدعوة الجديدة ولتكون اللبنة الأولى في كتابة التاريخ عند العرب. وهذا ما دفع الدكتور لطفي منصور ليقرّر بأنّ مادّة المغازي والسير "كانت جزءاً من علم الحديث وأنّها نشأت أوّل ما نشأت في ظلاله، هي مجموعات الحديث التي وصلتنا، بنوعيها: المصنف والمسند. فإنّ هذه الكتب تحوي فصولاً طويلة وروايات كثيرة تُعالج موضوع السير والمغازي بجانب المواضيع الأخرى من أحكام وتفسير. "(٥) ويرى أنّه كان لرواية أيام العرب والحكايات الشعبية في مجالس السمر، الأثر البالغ في صياغة أدب المغازي ورواية أخبار مغازي النبي كموضوع محبّب ومسلّ في مجالس أشراف المدينة. (٦)

لكن الأمر المعروف أن العرب لم يُدوّنوا في حياة الرسول والخلفاء الراشدين غير "القرآن الكريم" وذلك للحفاظ عليه من الضياع ولتفشي العُجمة على الألسن نتيجة لاتّساع البلاد الإسلامية واختلاط العرب بشعوب أخرى لا تُتقن العربية.

وكان لاهتمام معاوية بن أبي سفيان بتدوين التاريخ حيث استقدم عبيد بن شرية من صنعاء وكتب له "كتاب الملوك وأخبار الماضين"، أكبر الأثر على إثارة اهتمام الغير بتدوين القصص والأخبار والأحداث التي لها علاقة بالرسول(٧).

وقد اتجه اهتمام مدوّني التاريخ إلى حياة الرسول وكل ما له علاقة بها. ومن أشهر الذين كتبوا في سيرة الرسول نذكر: عروة بن الزبير بن العوام الذي ساعده كون والده الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر أن يروي الكثير من الأخبار والأحاديث عن الرسول وصدر الإسلام، وقد توفي سنة ٩٢هجرية.

كذلك نذكر ابان بن عثمان بن عفان المتوفي سنة ١٠٥ هجرية ووهب بن منّبه اليمني المتوفي سنة ١١٠هجرية صاحب كتاب "الإسرائيليات والذي قال عنه حاجي خليفة: "إنّ وهباً أوّل مَن ألّف في هذا الموضوع"(٨) وقد استقى مادته من كتب اليهود والنصارى وخاصة التوراة، ويرى Sezgin أنّ ابن هشام مهذّب السيرة قد اقتبس كثيرا من كتاب وهب بن منبه (٩)، وشرحبيل بن سعد المتوفي سنة ١٢٢هجرية، وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى

ين سنتي ١١٩ و ١٢٩ هجرية الذي اشتهر من بين علماء المدينة بلقب "صاحب السير والمغازي" ويُعتَبر من كبار شيوخ ابن اسحاق والواقدي وابن سعد (١٠)، وابن شهاب الزهري المتوفي سنة ١٢٤ هجرية تلميذ عروة بن الزبير وشيخ إمام المغازي محمد بن اسحاق، وقد اهتم الزهري في مغازيه بمراحل السيرة الثلاث: المبتدأ والمبعث والمغازي أي فترة المدينة، (١١). ويُشكّل مؤلّف الزهري الشريان الرئيسي الذي غذّى سيرة ابن اسحاق، وواحداً من مصادره الأساسية، ويبقى تأثيره واضحاً على جميع مؤلفي السير في القرون التي تلته. (١٢) وهو يُعتَبر أوّل رائد في كتابة الحديث حيث لم يكن رواة الحديث قد اعتادوا كتابة رواياتهم (١٣)، وموسى بن عقبة المتوفي سنة ١٤١ هجرية، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم المتوفي سنة ١٣٥ هجرية الذي وصفه الذهبي بأنّه "صاحب المغازي وشيخ ابن اسحاق" (١٤) وقد قام عبد الله بن أبي بكر بترتيب مغازي النبي وحروبه ترتيبا كرونولوجيا وذكر عددها وعمل منها قائمة، أفاد منها ابن اسحاق في كتابه "السيرة" (١٥)، ومعمر بن راشد المتوفي سنة ١٥٠ هجرية ثم شيخ رجال السّيرة محمد بن اسحق المتوفي حوالي سنة ١٥٢ هجرية (١٦).

بعد هؤلاء الرّواد جاءت كوكبة أخرى من المُهتمّين بسيرة الرسول وتدوين التاريخ، أذكر منهم الواقدي صاحب كتاب "المغازي" والمتوفي سنة ٢٠٧ هجرية، ومحمد بن سعد صاحب

كتاب "الطبقات الكبرى" والمتوفي سنة ٢٣٠هجرية، وابن هشام الذي ارتبطت سيرة الرسول باسمه والمتوفى سنة ٢١٨هجرية (١٧).

الدّافع لتدوين سيرة الرسول

كان من الطبيعي أن تُثيرَ أفعال وأقوال الرسول ﷺ اهتمام الرجال الذين عاصروه، وأن يستذكروا كلّ ذلك ويُحفّظوه لأولادهم، وقد ساعدت هذه الأفعال والأقوال في تثبيت سنن العبادة والشريعة والإقتداء بالرسول، كما أنّ الحروبات التي خاضها المسلمون بقيادة الرسول وانتصروا فيها ونجحوا في نشر الإسلام وتثبيته حفّزت الكثيرين لرواية أخبار هذه الحروب والتوسّع في سرد بعض حوادثها مما يترك ظلاً كثيفاً من الشّك حول مصداقيّة بعض التفاصيل وترابطها الزمني.

وكان التحوّل الكبير الذي طرأ على شخصية الرسول لدى كل مسلم مؤمن، نتيجة للإحتكاك باليهود والمسيحيين، حيث أخذ هذا المسلم يرى في رسوله الصورة الظاهرة لكمال الخلق الالهي، ولا تختلف بشيء عن حياة موسى وعيسى، عليهما السلام، وهذا التحوّل استتبع أن توضَع القصص المختلفة حول حياة وشخصية الرسول وتتداخل التحريفات والمبالغات في الكثير من هذه القصص.

الشّكوك حول مصداقيّة السيرة

كان شبرنكر قد صرّح وادّعى، كغيره من المستشرقين،

بوجود شبهة في أن تكون السيرة قد تأثرت بالسنن اليهودية والمسيحية "اما بالنسج على منوال القصص الواردة في العهدين القديم والحديث أو بالنقل عن "المدراش" و"الهَجادة" من ناحية وعن "الأناجيل" المنحولة وسيَر القديسين عند المسيحيين من ناحية أخرى".

كذلك كان المستشرق نولدكه قد بين بتحليله قصص إسلام السابقين إلى الإسلام، أن السيرة في مواضع كثيرة جداً تنأى نأيا بعيداً عن تمثيل الرواية الصحيحة، وانما هي تُصوّر، متتبعة الأمور، أحوالاً وقعت في تاريخ متأخر كثيراً عن الحوادث التي تروى نبأها، وتقرن ذلك بأسانيد تاريخية تثبت بها ما تقول.

كذلك يرى جولدتسهير أن السيرة في صورتها الأدبية التي وصلت بها إلينا، إنما هي مجموعة من الأحاديث المروية لا تختلف في طريقة تكوينها اختلافاً جوهرياً عن الأحاديث المُسَلّم بصحتها، حيث أن الإسناد في الحالين لا يكون مقنعاً ودقيقاً ولهذا فيكون النص الوارد في الحالين يفتقد إلى حد ما للحقيقة التاريخية.

أما المستشرق لامنس H. Lamens فقد حاول إثبات أن البناء الكامل للرواية الإسلامية عن حياة النبي، في مرحلتها السابقة على الهجرة لا سَند له، فكل حادث ترويه السيرة وكل تفصيل تاريخي مزعوم ليس إلاّ نتيجة لتفسير ذاتي لآية من القرآن،

وأن أصحاب مدرسة المدينة استعانوا بشتى التوفيقات الفقهية وبالأصول الدخيلة، وعليه فلا تجد للحوادث التي رووها سَنداً من الرواية التاريخية (١٨).

ويستخلص المستشرق ليفي دلا فيدا رأيه بأن السيرة المعروفة لدينا قد مرّت بالخطوات الآتية:

إنّ احترام المسلمين لشخص الرسول أدّى إلى تَعدّد الروايات حول شخصيته تُشبه سير القديسين عند المسيحيين، وقد اجتمعت حول هذه الرواية إلى جانب الروايات التاريخية التي يتفاوت حظها من التحريف، قصص نُسجت على منوال القصص الدينية اليهودية أو المسيحية وربّما الإيرانية، ثم رتُّبت هذه المادة واتّخذت لها القواعد والمناهج على يد مدارس المحدثين في المدينة، واتخذت صورة "مدراش" مُحكم حافل بالتوفيقات والآيات القرآنية التي طابَ للمفسرين أن يجدوا فيها إشارات إلى حوادث في حياة النبي، ويرى: أن على هذا النحو كانت صياغة تاريخ العهد المدني من السيرة، وأن البعض من أهل التقى التقطوا قصصاً تتصل بهذا العهد وبدّلوا من طبيعتها، ومن هذه التوفيقات بين تلك العناصر نشأت السيرة في صورتها المعتمدة قُبيل مستهل القرن الثاني للهجرة.

ويرى ليفي أنّ القصاصين المحترفين للقصص الذين انتشروا في أرجاء العالم الإسلامي بعد الفتوح العربية هم أول من

ألف وأذاع عن حياة النبي القصص التي صنّفوها فيما يُرجّح على منوال تلك الأساطير الواردة في التوراة والإنجيل والقصص الإيرانية(١٩).

محمد بن إسحاق صاحب سيرة الرسول

كانت ولادة محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المطلبيّ سنة ٨٥ هجرية في المدينة وبها نشأ وترعرع وسمع الحديث والمغازي. ابن اسحاق من طبقة الموالي، جدّه يسار ولربّما والده خيار وقعا في أسر خالد بن الوليد عند فتحه لمدينة عين التمر سنة ١٢ للهجرة، وهي مدينة بجوار الأنبار. نشأة ابن اسحاق في المدينة مكّنته من سماع كبار الشيوخ في المغازي والحديث والتفسير أمثال عروة بن الزبير وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن شهاب الزهري، كما سمع من كل من روى حديثا، كذلك سمع من أولاد اليهود الذين أسلموا روايات تتعلّق بالحوادث التي وقعت بين النبي ويهود المدينة، وسمع في المدينة من النساء أمثال فاطمة بنت المنذر بن الزبيرومن زوجها هشام بن عروة، وفي مصر عندما زارها سمع من يزيد بن أبي حبيب المتوفى سنة ١٢٨ هجرية وفي الكوفة من محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هجرية وغيرهم كثيرين ممّا يدل على ثقافة ابن اسحاق ومعلوماته الواسعة في كل ما يتعلّق بالمغازي.

وقد أثار ابن اسحق نتيجة لأخذه معلوماته من مصادر شتى ومختلفة ومتفاوتة، وفي كثير منها غير مُسنَدة ولا ثقة في

أصحابها، انتقادا شديدا واختلفت الآراء حوله . فالإمام مالك بن أنس وصفه بقوله: " محمد بن اسحاق دجّال من الدجاجلة، نحن أخرجناه من المدينة " (٢٠)، واتّهمه في موضع آخر بأنّه " كذّاب " (٢١) . كذلك هشام بن عروة بن الزبير خاصم ابن اسحاق وشكّك في علمه وما أتى به من معلومات .

كتاب سيرة الرسول لإبن اسحاق

ذكرت العديد من المؤلفات التي تناولت حياة الرسول ﷺ، ولكن مؤلف محمد بن اسحق " المتوفى حوالي سنة ١٥٢هجرية يُعدّ من أوثق ما كتبّ في السّيرة النبويّة، ويُعتَبر ختام تطور الرواية المدنية وفاتحة تصوّر جديد للسيرة، وذلك كما يرى المستشرق ليفي دلا فيدا أنّ أسلاف ابن اسحق قد نظروا فيما يظهر إلى تاريخ النبي نظرتهم إلى ظاهرة قائمة بذاتها، أما ابن اسحق فقد كان أوّل من وضع الإسلام ومنشئه في نسَق التاريخ العام، فهو يرى أن ظهور الإسلام استمرار وتتمّة للتاريخ المقدس اليهودي والمسيحي من حيث كونه ينبعث من الخلق الالهي ومن دعوة الأنبياء السابقين لمحمد .

وقد وزّع ابن اسحق كتابه على أربعة أجزاء وكل جزء شمل عدّة أبواب ، والأجزاء هي :

١- كتاب المبتدأ أو المبدأ .

٢- كتاب المَبعث.

٣- كتاب المغازي.

٤- كتاب الخلفاء.

وهذا التوسّع في الأبواب المختلفة جعل البعض يتساءل إذا كانت هذه أبواباً لكتاب واحد أو أسماء عدّة كتب نشرها المؤلف، وهذا التّوسّع أيضا جعل ابن اسحق يقبل عدداً من الروايات واستخدام الشعر كمصدر مهم يُعتمَد عليه. ويرى ليفي دلا فيدا أنّ ابن اسحق يتّصف بصفة المؤرخ الحقّ وفيه تَتمثّل الصورة الأخيرة للمَزج بين كتابة التراجم على النحو الملحمي الأسطوري المأثور عن القصاص(٢٢).

ابن هشام والسيرة النبوية

هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري توفي سنة ٢١٨ للهجرة.

وقد قام ابن هشام بجمع "سيرةالرسول" التي كتبها ابن اسحق ودونّها ولكنه لم ينقلها كاملة وانما اعمل فيها مبضعه ونظرته الثاقبة، فقد حذف من سيرة ابن اسحق تاريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم، وغير هذا من ولد اسماعيل ممن ليسوا من العمود النبوي، كما حذف من الأخبار ما يسوء، ومن الأشعار ما لم يثبت لديه، كما كان يزيد على ما ذكر ابن اسحق رواية ما، فات ابن اسحق ذكرها، واضافتها تُوفِي الكلام حقّه(٢٣). وقد شرح هو نفسه ما قام به وكيف تعامل مع سيرة ابن اسحاق بقوله في المقدمة: " وأنا إن شاء الله مبتديء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن ابراهيم، من ولد رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، من ولده وأولادهم لأصلابهم، الأوّل فالأوّل. من اسماعيل إلى رسول الله، ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل، على الجهة للإختصار، إلى حديث سيرة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب، ممّا ليس لرسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب،

ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار. وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكائيّ بروايته. ومستقص، إن شاء الله تعالى، ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به" (٢٤)

وقد حذف ابن هشام الكثير من مادة الجزء الأول من سيرة ابن اسحق ، والمعروف باسم المبتدأ والخبر أو المبدأ. وقلّ الحذف في الجزأين الآخرين. كما وأكثر ابن هشام من الشروح اللغوية والنحوية لكثير من العبارات، كما وأبدى الملاحظات والشروحات. ولم يُغيّر في النص الأصلي وأبقاه على صورته مع إسناده. فإذا ما أراد أن يُبدي ملاحظة مثل تعليق أو شرح قطع النصّ، ثم يذكر ملاحظته بعد أن يُقدّم لها بعبارة "قال ابن هشام"، ثم يرجع إلى النصّ من جديد بقوله : "قال ابن اسحاق" (٢٥).

وكان لعمل ابن هشام هذا الأثر الكبير على نسبة سيرة ابن اسحاق اليه حتى أنّها عُرفت به ونُسيَ ابن اسحاق.

الإشارات

١- Encyclopedia of Islam - Sira- p. 39

٢- منصور، لطفي- المنتقى من سير النبي المصطفى للإمام سعيد الدين محمد بن مسعود الكازروني. تحقيق د. لطفي منصور. دار الهدى للطباعة والنشر، كفر قرع ٢٠٠١، المقدمة الجزء الأول ص ١١

٣- ابن منظور - لسان العرب - الجزء الرابع -ص ٣٩٠

٤- السقا، مصطفى - السيرة النبوية - الجزء الأول - المقدمة، ص.ج

٥- منصور، لطفي: المنتقى للكازروني. المجلد الأول ص ١٢

٦- المصدر السابق ص١٥

٧- السقا، مصطفي- السيرة النبوية - الجزء الأول - ص٤-٥

٨- حاجي خليفة- كشف الظنون ٢/ ١٣٢٨، س١٦

٩- منصور، لطفي- المنتقى للكازروني، المجلد الأول ص ٨٢/ ٨٣

١٠- المصدر السابق- ص٥٤ ويذكر مصادره وهي: ابن قتيبة، المعارف ص٤٦٦، س٥. والذهبي، سير ٥/ ٢٤١، س٣ "وكان عارفا بالمغازي واعتمد عليها ابن اسحق كثيرا".

١١-منصور، لطفي- المنتقى للكازروني، المجلد الأول ص ٦٩

١٢- المصدر السابق ص ٧٥

١٣- المصدر السابق ص٦٦

١٤- الذهبيّ- سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٥، س١

١٥ -منصور، لطفي- المنتقى للكازروني، المجلد الأول ص ٥٠

Encyclopedia of Islam - Sira - p. 441 -16

١٧ - المصدر السابق - ص٤٤٢ .

١٨ - المصدر السابق - ص٤٤٠ - ٤٤١ .

١٩ - المصدر السابق - ص٤٤١ .

٢٠ - الذهبي: سير ٧/ ٥١ ، البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ٢٢٣ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٧ ومنصور لطفي: المنتقى للكازروني ص١٠٧

٢١ - منصور، لطفي- المنتقى للكازروني ص ١٠٧

Encyclopedia of Islam- Sira-p.442.-22

٢٣ - السيرة النبوية - الجزء الأول - مقدمة ابن هشام لكتاب السيرة - ص. ى.

٢٤ - المصدر السابق، مقدمة ابن هشام للسيرة

٢٥ - منصور، لطفي- المنتقى للكازروني ، المجلد الأول ص ١٤٢

السيرة النبوية واليهود

ذكرنا في الفصل السابق أن ابن اسحق في كتابته لسيرة الرسول ﷺ لم يعتمد على مصادر تاريخية معتمدة، وإنما جمع مواد كثيرة ومتنوعة وقبل العديد من الروايات والقصص التي لا تدعمها الأسانيد كما اهتم باستخدام الشعر لتكملة مصادره، وجاء ابن هشام بعده وحذف وأضاف الكثير، وهذا الأمر جعل أغلب المؤلفين والباحثين في التاريخ الإسلامي الأول، وخاصة المستشرقين منهم، يعتقدون بأنه من غير المعقول اعتماد السيرة النبوية كمصدر تاريخي يركن إليه.

والسؤال الذي يواجه القارئ للسيرة النبوية هو: لماذا هذا الموقف السلبي الذي يصل في بعض المواقف إلى حد التحريض ضد اليهود؟ وإلى أي مدى كانت مصداقية هذه القصص التي دارت حولهم؟

وهذا التساؤل يعيدنا إلى ذكر أمر مهم وهو أن بداية تدوين سيرة الرسول كانت بعد مضي ما يزيد عن سبعين عاماً على وفاة الرسول وذلك على يد "عروة بن الزبير" في زمن حكم عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هجرية). وأن ابن اسحق دون كتابه بعد مضي ما يزيد على المائة وعشرين عاماً على وفاة الرسول أيام خلافة أبي جعفر المنصور العباسي، ومثله أعاد ابن هشام تصنيف وكتابة سيرة ابن اسحق بعد مضي مائتي سنة على وفاة الرسول.

وهذا يقودنا إلى تأكيد ما ذكره المستشرق ليفي دلا فيدا، وهو أن احتكاك المسلمين باليهودية والمسيحية ورغبتهم في أن يضعوا منشيء الإسلام في كفة منشيء هذين الدينين قد شجعهم على وضع تلك القصص التي أحاطوا بها شخص النبي والتي أحدثت هذا التحول الشامل في طبيعة شخصيته من مولده إلى وفاته وبدلتها تبديلاً. فقد أصبح يمثل الصورة الظاهرة لكمال الخلق الالهي وغدت حياته أشبه بنسخة من حياة موسى وعيسى وأسبغ على أدق تفاصيلها طابع الوحي والخوارق(١).

كل هذا يقودنا إلى تلمس الجواب عن السؤال المطروح حول هذا الموقف العدائي البارز في سيرة ابن هشام من اليهود.

فمن المعروف أن أتباع الديانة اليهودية كانوا الفئة الوحيدة التي رفضت التنازل عن دينها بل زادت التمسك به في سنوات المد الإسلامي الكاسح لكل أجزاء وقبائل الجزيرة العربية، وقد حافظ اليهود على وحدتهم ودينهم رغم مجاورتهم للمسلمين في يثرب، ورغم التساهلات الكبيرة التي قدمها الرسول لهم وورد في (عهد الأمة)(٢) بُعَيد وصول الرسول إلى المدينة.

والذي يتفق عليه المؤرخون أن اليهود أخرجوا من يثرب أيام الرسول، ومن بقي منهم طرد أيام عمر بن الخطاب(٣)، وأن عملية إخراجهم وطردهم تمت بقسوة وتميزت بالعنف حيث عوقبوا اقتصادياً وجسمانياً ودينياً لنقضهم العهد والمواثيق ودعمهم لأعداء

الدعوة سراً وعلانيّة.

فقد وجد الرسول في تمسك اليهود بدينهم وعدم الإنضمام إلى الإسلام تحدياً كبيراً له ولدعوته، وخطراً كبيراً على مستقبل الدعوة الجديدة خاصة أنّهم أصحاب الكتاب السماوي الأول، وحكماؤهم معترف بعلمهم وتقواهم من قبل معظم العرب.

أمام هذا الموقف الصعب وجد مدونو السيرة أنفسهم، التبرير لقسوة الرسول على اليهود إلى حد الطرد والقتل.

هنا كان لتجميع الروايات المختلفة وللقصص المتباعدة، وللأحاديث المنسوبة ولمقطوعات الشعر العديدة أهميتها في تبرير ما فعله الرسول وبعده عمر بن الخطاب مع اليهود، فقد أظهرت هذه جميعها أن اليهود كانوا المسبب لما أصابهم، ولا تبعة على الرسول وغيره.

جاءت هذه الروايات والقصص والأشعار لتؤكد أن رفض اليهود للإسلام ليس دافعه التمسك بدين آبائهم وإيمانهم به، وإنما لتدلل على ما يتصف به اليهود من صفات سلبية، صفات تبرر للغير معاقبتهم وظلمهم.

وقد شكلت هذه الإتهامات المختلفة أساساً قوياً فيما بعد للجدل الديني ما بين المسلمين واليهود خاصة في العصور الوسطى، إذ أن كثيراً من هذه الإتهامات التي ذكرت في السيرة وجهت ضد اليهود فيما بعد.

الإشارات

١- Encyclopedia of Islam- Sira- p. 440

٢- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ١٤٧ - ١٥٠ .

٣- البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤١ والسيرة النبوية لابن هشام - الجزء الثالث - ص ٣٧١ .

الصدام العنيف بين الرسول واليهود في المدينة

ظلّ الرسـول ﷺ، على الرغم من الموقف غـيـر الودّي لليهود تجاهه، يأمل بأنهم سيكونون الملبين لدعوته والمصدِّقين لنبوءته، إذ أنهم أصحاب الكتاب السماوي الأول وأتباع النبي موسى الذي جاء هو ليُتمِّم رسالتَه. ولا تزال كلمات ورقه بن نوفل تتردد في مسامعه يوم جاءته خديجة تستفسر حول ما نزل على محمد من وحي، حيث قال: " أبشري إنه الناموس الذي نزل على موسى". كذلك كان كغيره من العرب يستمع إلى القصص التي تتردد على لسان أحبار اليهود والكُهّان حول قرب ظهور نبي في بلاد العرب، وإذا كانت كلمات الراهب " بحيرا" المحذِّرة لعمه أبي طالب من خطر زعماء اليهود عليه يوم قدم إليه مع عمّه وهو لا يزال في الثانية عشرة من عمره تضيء له بعض الإشارات الحمراء على درب علاقته باليهود، فإنه ظلّ واثقاً أنه سيستطيع اكتسابهم إلى جانبه بمجرد أن يلتقي بهم ويشرح لهم أسس دعوته. وقد اهتمّ أن يزيل أي سوء تفاهم معهم يوم سألوه بعد هجرته إلى المدينة إذا كان يقصدهم بقوله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" على أثر ما طرحوا عليه من أسئلة لقنوها لوفد قريش قَصْدَ اختباره ونزول سورة الكهف(١).

وبما زاد من أمل الرسول أن الذين تقبّلوا دعوته من خارج مكه كانوا من سكان المدينة المجاورين لليهود والمتأثرين بما يسمعون منهم عن النبي المنتظر، كذلك موقف اليهود السلمي من المسلمين الذين هاجروا إلى يثرب بعد بداية نشر الدعوة في المدينة.

كان عدد اليهود في المدينة يصل إلى عدّة آلاف، وشكّلوا الطبقة الأرستقراطية الغنية صاحبة الأرض الزراعية والكروم المثمرة، فهم سكان المدينة الأصليون، وقد قدموا إليها واستوطنوها في القرن الأول للميلاد، وقد عمل أبناء القبائل العربية الذين قدموا إليها فيما بعد في أرض اليهود وكانوا تابعين لهم (٢).

لكن الوضع السياسي يوم مقدم الرسول إلى المدينة كان قد تغير إذ لم يعد اليهود يحظون بالمركز الرئيسي الذي كان لهم، وإنما كانت الزعامة والقيادة في المدينة من حظ قبيلتي الأوس والخزرج وكانت القبائل اليهودية ترتبط بعهود واتفاقيات مع هذه القبائل العربية (٣).

رغم المحاولات الجادة التي بذلها الرسول للتقرب من اليهود طوال الأشهر الأولى لوجوده في المدينة إلا أنّ هذه الجهود لم تثمر وظل زعماؤهم على موقفهم الرافض لقبول دعوة محمد والتسليم بأنه نبي مرسل (٤). وكان موقف اليهود المتحدي للنبي واضحاً في حادثة موت نقيب بني النجار "أبو أمامة" حيث قالوا ساخرين ناكرين كونه نبيّا: "لو كان نبيا لم يمت صاحبه" وقد

أجاب الرسول على قولهم هذا : لا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً (٥).

هكذا وصل الرسول إلى اقتناع تام أنّ تسامحه مع اليهود ومحاولات التقرّب منهم لن تجديه (٦) واتّخذ القرار الحاسم ولكن المتروي بمواجهة اليهود وتحدّيهم.

أول ردّ فعل متحدّ اتّخذه كان اتّخاذه الآذان ليدعو به المسلمين للصلاة، وكان أول مَقْدَمه للمدينة قد همّ باتخاذ البوق على طريقة اليهود، وبعدها فكّر باتخاذ الناقوس على طريقة المسيحيين (٧)، ثم تلا هذه الخطوة بأخرى كانت جَعْله يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار "السبت" عند اليهود، ولكنه سمح للمسلمين بالإنصراف إلى أعمالهم الدنيوية قبل أداء الصلاة، وبعدها. كذلك أضاف إلى صوم يوم عاشوراء الذي اقتبسه عن اليهود صوماً آخر يستغرق شهر رمضان بكامله (٨) . ثم كانت قصة إسلام "عبد الله بن سلام" (٩) أحد أحبارهم الكبار وما تركته هذه الحادثة من أثر بين اليهود، ثم اتّخاذ الرسول الكعبة بدلاً من بيت المقدس قبلة للمسلمين يتوجهون إليها ساعة الصلاة.

كل هذه الخطوات على تباعدها الزمني تركت أثرها على تأجيج النزاع بين الرسول وأحبار اليهود، الذين كانوا يرون أنفسهم متفوّقين في العلم على كل مَن يحيط بهم من غير اليهود وبضمنهم الرسول (١٠) . فهم "أبناء الشعب المختار" (١١) وهم

" أولياء الله من دون الناس " (١٢) " وأبناء الله وأحباؤه " (١٣)، وقد تقبّل الرسـول هـذه الدعـوى بادئ الأمـر (١٤) ، لكنه إذ وجـد أن لا أمل في اكتسابهم إلى جانبه، ناصبهـم العداء وحمل عليهم حملة شديدة .

لقد اجتهد الرسول أن يقطع أية صلة بين المسلمين واليهود والنصارى، وعمل جاهداً على تأكيد أسبقية الإسلام بأن ربط بين الإسلام وإبراهيم الخليل على اعتباره مؤسس الدين الإسلامي، فإبراهيم هو الذي أسس الكعبة المقدسة لإبنه إسماعيل، وأكد واجب الحج إليها ، وإبراهيم لم يكن إلا مسلماً حنيفاً ، كما اهتم الرسول أن يؤكد على الطابع العربي للدين الجديد (١٥) ، حتى أننا نستطيع أن نجد الدين الإسلامي يعتمد في تطوّره على دعامتين أساسيتين هما :

أ - أن إبراهيم الخليل هو المسلم الأول والمؤسس الحقيقي للدين الإسلامي .

ب - التأكيد على الطابع العربي للإسلام (١٦) .

موقف اليهود من النبي قبل نزول الوحي وبعده

يُخصص ابن هشام في السيرة النبوية الصفحات العديدة لنقل ما قاله أحبار اليهود ورهبان النصارى حول مبعث النبي.

وأول ما يطلعنا عليه هو معرفة اليهود بمولد الرسول إذ ينقل ما قاله حسان بن ثابت "والله إني لغلام يفعه. إبن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أكمه بيثرب: يا معشر يهود. حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك، مالك؟ قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به" (١٧).

ويذكر في مكان آخر قائلاً: "كانت الأحبار من يهود، والرهبان من نصارى، والكُهّان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه. أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه" (١٨).

ثم يروي قصة اليهودي (١٩) جار بني عبد الأشهل الذي أكّد بعث النبي من مكة وأنه سيظهر قريباً، ثم قصة يهودي من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم قبيل الإسلام بسنين وكيف قال ناصحاً اليهود قبل موته: "يا معشر يهود إنّي إنما قدمت هذه البلدة أَتوكَّفُ خروج نبي قد أظَلَّ زمانُه وهذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يُبعَث فأتبعه، وقد أظلّكم زمانه، فلا تُسْبقَنّ إليه يا معشر

يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه" (٢٠).

وروايته لقصة إسلام عبد الله بن سلام الذي قال: " لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته وإسمه وزمانه الذيَ كنا نتوكف فكنت مُسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله المدينة" (٢١).

ويبيّن ابن هشام في السيرة النبوية من خلال الأخبار التي ينقلها أن اليهود كانوا يطمعون في أن يكون هذا النبي منهم وعاملاً بإرادتهم، وكانوا واثقين من ذلك وهذا ظهر في عدة مواقف كانوا يجاهرون بظهوره القريب وبأنه سيكون عوناً لهم ضد خصومهم من القبائل العربية الأخرى. فمن تلك الأخبار ما رُويَ على لسان عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه: "أن جماعة الأنصار الذين لقيهم الرسول وعرض عليهم الدين الجديد وقبلوه قالوا للرسول بعد أن دعاهم للإسلام، إنّ اليهود كانوا يتوعدونهم قائلين " إنّ نبيّاً مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم" (٢٢).

ولكنهم كما يذكر ابن هشام رفضوا الدعوة وناصبوا الرسول العداء بعد ظهوره. فمثلاً الرجل اليهودي جار بني عبد الأشهل الذي أكّد مبعث الرسول كفر به بعد ظهوره، ولمّا قالوا له: " ويحك يا فلان، ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى،

ولكن ليس به" (٢٣) . ثم يذكر تكذيب اليهود لعبد الله بن سلام الذي أكّد إشارة التوراة للرسول وصدق دعوته (٢٤) . ورواية صفية بنت حُيَيّ بن أخطب حيث قالت : " كنت أَحَبّ ولد أبي إليه وعمه أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلاّ أخذاني دونه. قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حُيَيّ بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مُغْلسين. قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت : فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغَمّ. قالت : وسمعت عَمّي، أبا ياسر، وهو يقول إلى أبي حُيَيّ بن أخطب : أهو هو؟ قال : نعم والله. قال : أتعرفه وتثبته؟ قال : نعم. قال : فما في نفسك منه؟ قال : عداوته والله ما بقيت" (٢٥).

هكذا ظهر موقف اليهود الرافض لمحمد ونبوءته، وزاد هذا الرفض بعد أن قبل بعض اليهود الدين الجديد وآمنوا به، خاصة ما كان من إسلام "عبد الله بن سلام ومخيرق" (٢٦) عندها لم يجد الرسول أمامه من سبيل إلا المُجاهرة بخصومه اليهود فكرياً ومادياً.

الإشارات

١ - ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الأول - ص ٣٢١ - ٣٣٠

٢- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٢٩٤ .

٣- المصدر السابق - ص٢٩٨ .

٤- المصـــدر الســـابق - ص٣٠١ . והנרי למנס- האסלאם- ע" 33.

וגויטיין -ע"62

٥- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص١٥٣ .

٦- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص٤٨ .

٧- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص١٥٤ .

٨- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص٤٧-٤٨ .

٩- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص١٦٣

١٠ - فلهلم رودلف - صلة القرآن باليهودية والمسيحية - ص ٨

١١ - القـرآن الكريم - سـورة الدخـان - آية ٣٢ (ولقـد اخـترناهـم على علم على العالمين) وسورة البقرة آية ٤٧

١٢ - سورة البقرة آية ٦

١٣ - سورة المائدة - آية ١٨

١٤ - سورة البقرة - آية ٤٧ (يا بني إسرائيل زذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم وأني فضّلتكم على العالمين) .

١٥ - كـارل بروكلمـان - تاريخ الشعـوب الإسـلاميـة - ص ٤٨ و הנרי

למנס - האסלאם - ע" 33. ו גויטיין - הפרק על מוחמד- ע" 54

16- חוה לצרוס-יפה - האיסלאם- ע" 28

١٧ – ابن هشام – السيرة النبوية – الجزء الأول – ص ١٦٨

١٨ – المصدر السابق – ص ٢١٧

١٩ – المصدر السابق – ص ٢٢٦

٢٠ – المصدر السابق – ص ٢٢٧

٢١ – المصدر السابق – الجزء الثاني – ص ١٦٣

٢٢ – المصدر السابق – ص ٧٠ والجزء الأول – ص ٢٢٥

٢٣ – المصدر السابق – الجزء الأول – ص ٢٢٦

٢٤ – المصدر السابق – الجزء الثاني – ص ١٦٤

٢٥ – المصدر السابق – ص ١٦٥ – ١٦٦

٢٦ – المصدر السابق – ص ١٦٣ – ١٦٥

عبد الله بن سلام
الصّحابي الذي آمن بالإسلام وأخلص

كان عبد الله بن سلام أول شخصية مهمة تقبل بالدين الإسلامي من بين اليهود ويكون لها أثرها الكبير، فقد أسلم فيما بعد العديد من علماء وأحبار اليهود أمثال " مخيريق ووهب بن منبة وكعب الأحبار ومحمد بن كعب القرظي وأبو يعقوب " وهو رجل من أهل تدمر كان يهودياً فأسلم "(١) وقد كان محمد بن اسحق صاحب سيرة الرسول يعتمد على أهل الكتاب، ويكثر الرواية عنهم ويسميهم أهل العلم الأول(٢).

أما عبد الله بن سلام فقد دعي قبل إسلامه باسم الحصين بن سلام بن الحارث(٣)، وسلام اسم والده. ولما أسلم سماه الرسول "عبد الله"(٤). وهو من بني قينقاع. وكان له إبنان، هما يوسف ومحمد(٥)، ويُعد يوسف من الصحابة، وله حديث عن الرسول، ويقال إن الرسول هو الذي سمّاه يوسف، وقيل ليس له صحبة، وقد روى عن جماعة من الصحابة(٦).

ويورد صاحب السيرة قصة إسلامه كما سمعها من بعض أهل ابن سلام الذين نقلوها عنه قوله: "لما سمعت برسول الله عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله المدينة، فلما نزل بقباء،

في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله كَبّرتُ، فقالت لي عمتي، حين سمعت تكبيري: خيّبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت. قال: فقلت لها: أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بُعث بما بعث به، قال: فقالت، أي إبن أخي، أهو النبي الذي كنا نُخبَر أنه يُبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال. فقالت: فذاك إذا. قال: ثم خرجت إلى رسول الله فأسلمتُ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتي، فأمرتُهم فأسلموا" (٧).

ويذكر ابن سعد في الطبقات، على لسان "أبو معمر المنقري" ما وصله عن خبر وصول الرسول إلى المدينة قال: "وإذ نزل نبي الله جانب الحرة وبعث إلى الأنصار فجاؤوا نبي الله فسلموا عليهما وقالوا إركبا آمنين مطاعين قال فركب نبي الله وأبو بكر وحفّوا حولهم بالسلاح. قال: فقيل في المدينة جاء نبي الله فاستشرفوا نبي الله ينظرون ويقولون: جاء نبي الله. قال: فأقبل يسير حتى نزل إلى جنب دار أبي أيوب. قال: فإنّه ليحدّثُ أهله إذا سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فعجّل أن يضع التي يخترف فيها، فجاء وهي معه فسمع من نبي الله ثم رجع إلى أهله" (٨).

أجمعت أغلب الروايات أن إسلام عبد الله بن سلام كان بعد هجرة الرسول إلى المدينة، ولكن هناك رواية أنه أسلم والرسول في مكة لم يهاجر بعد(٩).

أما عن مكانة إبن سلام في قومه فقد أورد صاحب السيرة ما قاله زعماء اليهود فيه أمام الرسول، يوم أسلم عبد الله وطلب من الرسول أن يدخله في بعض بيوته ويغيبه عنهم ويسألهم عنه قبل أن يعرفوا بإسلامه. قد قالوا: "أنه سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا (١٠). وقد كان لإسلامه أثر كبير حتى أنّ بعضا من زعماء وأحبار اليهود وبعض عامتهم قبلوا بالدعوة وأسلموا. وبالإضافة إلى من ذكرت سابقاً أذكر يامين بن يامين الإسرائيلي وقد أسلم على أثر إسلام عبد الله بن سلام وهو من بني النضير (١١)، وأيضاً، كعب بن سليم القرظي ويعد من الصحابة ورفاعة القرظي وزيد بن سعية وهو من الأحبار وقد توفي في غزوة تبوك" (١١).

وحول مكانة ابن سلام العلمية والدينية قبل وبعد الإسلام فتكاد الروايات كلها تجمع على أنه كان حبراً كبيراً وعالماً مطلعاً، فقومه من اليهود يشهدون له أمام الرسول بأنه سيدهم وإبن سيدهم وحبرهم وعالمهم(١٢). وكان عالماً بأخبار الأولين وراوية لأخبارهم (١٣)، حتى أن الرسول كان يطلب منه أن يقرأ له الكتب التي كانت تعرض أمامه باللغة العبرية(١٤).

ويذكر ابن سعد في "الطبقات" أن يزيد بن عميرة السكسكي قال: "انه كان تلميذاً لمعاذ بن جبل الذي أمره أن يطلب العلم من أربعة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلام (١٥) وسلمان الفارسي وعويمر أبي الدرداء - كذلك يورد شهادة مجاهد بأن عبد الله بن سلام عنده علم الكتاب(١٦). وبشهادة آخر أنه كان من علماء بني إسرائيل(١٧). كذلك يذكره ابن خلدون في مقدمته المعروفة بأنه من أهل الكتاب الذين يعرفون الأخبار حول بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك، وأن التفاسير امتلأت من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض وهي أخبار موقوفة عليهم". ويذكر ابن سعد عن أبي بردة قوله: "أن والده أرسله إلى عبد الله بن سلام ليتعلم منه" (١٨).

حافظ عبد الله بن سلام على مكانته المحترمة بعد تَقبّله للدين الجديد، وكان الرسول يُقرّبه إليه، وكثيراً ما كان يطلب منه قراءة بعض كتب اليهود وغيرهم(١٩)، كما أن الرسول أوكل إليه مسؤولية النساء والذرية في غزوة قريظة (٢٠)، وعنه قال الرسول "هو عاشر عشرة في الجنة" (٢١).

وظل بعد موت الرسول يحتل المكانة المحترمة بين الصحابة وقد برز ذلك يوم موت عمر بن الخطاب إذ "جاء عبد الله بن سلام وقد صلي على عمر فقال: والله لئن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه، لا تسبقوني بالثناء عليه فقام عند سريره فقال: نعم

أخو الإسلام كنت يا عمر جواداً بالحق بخيلاً بالباطل، ترضى حين الرضى وتغضب حين الغضب، عفيف الطرف طيب الظرف، لم تكن مداحاً ولا مغتاباً ثم جلس(٢٢) . وهو الذي استشاره عثمان بن عفان يوم حوصر في داره وطلب من الناس المحاصرين أن يقبلوا توبته، حيث أرسل لعبد الله بن سلام وقال له: ما ترى؟ فقال له عبد الله: " الكف الكف فانه أبلغ لك في الحجة (٢٣) . كما وبرزت مكانته من الصحابة في قصته مع الصحابي سلمان الفارسي التي يرويها بقوله: " إن سلمان قال له: أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليتراء له. قال عبد الله بن سلام: أويكون ذلك؟ قال: نعم إن نسمة المؤمن مخلاة تذهب في الأرض حيث شاءت ونسمة الكافر في سجن. فمات سلمان فقال عبد الله: فبينما أنا ذات يوم قائل بنصف النهار على سرير لي فأغفيت إغفاءة إذ جاء سلمان فقال: السلام عليك ورحمة الله. فقلت: السلام عليك ورحمة الله أبا عبد الله كيف وجدت منزلك؟ قال: خيراً وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل " (٢٤).

لم يقف عبد الله بن سلام على الحياد في النزاع الذي نشب على أثر تولي عثمان بن عفان الخلافة فقد كان منحازاً إلى عثمان، مؤيداً له وإن كان ينتقد بعض تصرفاته، وقد حفظ له عثمان المودة والإحترام، حتى أنه استشاره ساعة حوصر في بيته وعرض على

المحاصرين له أن يقبلوا توبته حول ما يرى وقد أجابه ابن سلام قائلاً: "الكف الكف فانه أبلغ لك في الحجة" (٢٥). وظل على إخلاصه لعثمان حتى بعد موته، فقد كان من بين الذين امتنعوا عن مبايعة علي بن أبي طالب(٢٦)، وقد قال يوم قتل عثمان "اليوم هلكت العرب" (٢٧) وقال أيضاً "والله لا تهرقون محجماً من دم إلاّ ازددتم به من الله بعدا" (٢٨). ولمّا سُئل يوم مقتل عثمان عن صفته في كتب اليهود المقدسة قال: "نجَده أميراً يوم القيامة على القاتل والخاذل". "وأنه يحكم يوم القيامة في القاتل والخاذل" (٢٩).

وقد نُسبت أقوال لعبد الله بن سلام، موزعة بين كتب التفسير والحديث وكتب السير والأخبار، لبعضها طابع اسرائيلي، من القصص المعروفة بالإسرائيليات، وطابع قصصي قد يكون هو صاحبها ومرجعها، أو نُسبت إليه. وقد عُرف ابن سلام بأبي يوسف(٣٠).

الإشارات

١ – جواد علي – المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام – الجزء الأول – ص ٤١٠ – ٤١١

٢ – المصدر السابق – ص ٤١١

٣ – ابن هشام – السيرة النبوية – الجزء – ص ١٦٢

٤ – المصدر السابق

٥ – جواد علي – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – الجزء السادس – ص ٥٦٣

٦ – المصدر السابق. و تهذيب الأسماء – الجزء الثاني – ص ١٦٦

٧ – ابن هشام – السيرة النبوية – الجزء الثاني – ص ١٦٣

٨ – ابن سعد – كتاب الطبقات – جزء ١ ، القسم الأول – ص ١٥٩

٩ – جواد علي – الجزء السادس – ص ٥٦٢

١٠ – ابن هشام – السيرة النبوية – الجزء الثاني – ص ١٦٤

١١ – جواد علي – الجزء السادس – ص ٥٦٣ – ٥٦٤ والطبري – الجزء الثالث – ص ٣٩

١٢ – ابن هشام – السيرة النبوية – الجزء الثاني – ص ١٦٤

١٣ – جواد علي – الجزء الأول – ص ١٠٣ و ٤١٠

١٤ – المصدر السابق – الجزء السادس – ص ٥٥١

١٥ – ابن سعد – كتاب الطبقات – جزء ٢ ، القسم الثاني – ص ١١١

١٦- المصدر السابق - ص ١١١

١٧-المصدر السابق - ص ١١٢

١٨- ابن سعد - كتاب الطبقات - الجزء السادس - ص ١٨٧

١٩- جواد علي - الجزء السادس - ص ٥٥١

٢٠- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٢ ، القسم الأول - ص ٥٤ و مونتجومري - محمد في المدينة - ص ٣٢٧

٢١- ابن سعد - كتاب الطبقات ، جزء ٢ ، القسم الثاني ، ص ١١١

٢٢- المصدر السابق - الجزء الثالث ، القسم الأول - ص ٢٦٨

٢٣- المصدر السابق - ص ٤٩

٢٤- المصدر السابق - الجزء الرابع ، القسم الأول - ص ٦٦ - ٦٧

٢٥- ابن سعد - كتاب الطبقات- جزء ٣ ، القسم الأول - ص ٤٩

٢٦- أحمد أمين- فجر الإسلام - ص ٢٥٤- ٢٥٥

٢٧- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٣ ، القسم الأول - ص ٥٧

٢٨- المصدر السابق - ص ٥٧

٢٩- المصدر السابق - ص ٥٧

٣٠- جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الجزء السادس - ص ٥٦٣

"خيبر" والمواجهة الحادّة بين اليهود والمسلمين

اتّخذت غزوة "خيبر" الأهمية المميزة لها عن غزوات الرسول ﷺ الأخرى ضد اليهود، لأنها أبرزت رغبة الرسول والمسلمين في مطاردة اليهود حتى خارج المدينة، لأنهم ظلوا يُشكِّلون الخصم العنيد للدين الجديد وللرسول، المحرّض على المسلمين والدافع لمحاربة القبائل العربية لهم، أضف إلى ذلك ما كان لليهود من غنى وثروات كانت دافعاً مهماً للمسلمين للإستيلاء عليها (١) لتعويضهم عمّا خسروه وتركوه في مكة، ثم لتكون عوناً لهم في حربهم المقبلة ضد المشركين.

صحيح أن قَتْل وطَرْد بني قريظة من المدينة بعد طرد قبيلتي قينقاع والنضير فرّغ المدينة من أية جماعة يهوديّة مهمّة (٢)، ولكن جماعات يهودية متفرقة ظلّت تقيم فيها وتعيش مع المسلمين وباقي السكان.

وإذا قبلنا بالرأي القائل أنّ عهد الأمة قد صدر كله أو بعض بنوده المتعلقة باليهود بعد طرد أفراد هذه القبائل الثلاث من المدينة (٣) وذلك لأن هذه القبائل لم يرد ذكرها في الوثيقة (٤) فإن هذا يثبت وجود جماعات ليست بالقليلة في المدينة بعد رحيل القبائل الثلاث، وإن كان هذا الوجود اليهودي فَقَدَ أهمّيته العسكرية والسياسية وحتى الفكرية، إذ آثر اليهود الباقون موادعة المسلمين

والكف عن مخاصمتهم والسخرية منهم أو التعرض لدعوة الرسول وأعماله، وإن كانت عواطفهم لا تزال تُخفي الحب والعواطف والميل لإخوتهم اليهود خارج المدينة خاصة للذين في خيبر يوم خرج الرسول لغزوتهم (٥).

كما تميّزت هذه الغزوة عن غيرها بما رافقها من حصار طويل وقتال شديد وسفك دماء لا رحمة فيه، والقضاء على القوة اليهودية المؤثرة في شبه الجزيرة العربية.

التّعريف بخَيبر

هي واحة على الطريق ما بين المدينة والشام، على مسيرة مائة ميل من المدينة وقد وصفها تشارلز دوتي الذي مكث في خيبر حوالي خمسة أشهر أنها مجموعة من الوديان الفسيحة الكثيرة المياه، وتقع على ارتفاع ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر وقدر عدد سكانها بألف نسمة تقريباً. ينابيعها فيها شيء من طعم الكبريت ويحيط بها طبقات من الملح، والنخيل كثير في هذه الواحة (٦)، ويقول ياقوت ان لفظ خيبر هو الحصن بلسان اليهود الذين يعيشون هناك (٧).

ويقول سهل بن محمد الكاتب إن هذه الواحة اشتقت اسمها من خيبر بن كانية بن مهلائيل أول من استقر فيها . وخيبر القديمة في قول جغرافي العرب القدماء في ولاية كثيرة الخصب غنية بنخيلها وحقول قمحها الوافر الغلة وهي على سبعة حصون.

(٨) أهمّها حصن القميص وهو الحصن الذي فتحه علي بن أبي طالب (٩).

العوامل المؤدية إلى غزوة خيبر

ذكرت سابقاً، أن اليهود كانوا الفئة التي أمل الرسول ﷺ، بل وكان واثقاً من قدرته على استمالتها وإدخالها في الدين الجديد، لأنه جاء بدعوة لا تلغي تلك التي يؤمن بها اليهود، وإنّما تكمّلها وتؤكّد على وحدانية الرب، وقد كَثُر ورود ذكر النبي موسى وقصص بني إسرائيل في الآيات القرآنية المكيّة، وتوافقت مع مجموعة من الشعائر الدينية اليهودية مثل الطلب من المسلمين التّوجّه إلى بيت المقدس ساعة الصلاة، ثم صوم يوم عاشوراء، وتحريم بعض المحرمات المتبعة عند اليهود، لكن الذي ظهر وتأكد منه الرسول بعد هجرته للمدينة وفشله في محاولاته المتكررة مع زعماء اليهود، خاصة ما حصل له مع بني قينقاع حيث توجّه إلى مكان مجلس زعمائهم وحكمائهم وعرض عليهم تَقبّل الإسلام، مؤكداً صدق دعوته بنصرة الرّب له في غزوة بدر حيث قال لهم: "يا معشر يهود، إحذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم. قالوا: يا محمد، إنك ترى أنا قومك، يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنّا والله لئن حاربناك لَتَعلمَنّ أنّا نحن الناس" (١٠). كذلك ما حدث

ين أبي بكر الصدّيق وفنحاص حيث أجاب أبا بكر وقد دعاه لقبول الإسلام قائلاً: "والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وأنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا. وإنا عنه أغنياء وما هو عنّا بغني. ولو كان غنياً عنا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنّا غنيّا ما أعطانا" (١١). ثم ما حدث من أمر المرأة العربية وانتهاك حرمتها، (١٢) وما تبعها من مهاجمة بني قينقاع ومحاصرتهم وطردهم من المدينة.

مثل هذه الأحداث وغيرها جعلت الرسول يتخذ موقفاً عدائياً لا هوادة فيه ضد اليهود، حيث أدّى في المستقبل إلى طرد القبائل الثلاث الكبيرة "قينقاع والنضير وقريضة" من المدينة.

اعتقد البعض أن طرد بني النضير الذين انكشفت خطتهم لقتل الرسول (١٣) بعد طرد بني قينقاع على أثر حادثة المرأة العربية في سوقهم(١٤) قد يضع الحد للصدام بين القبائل اليهودية والرسول، لكن الذي حدث أن بني النضير الذين استقروا في خيبر لم يُسلّموا بهزيمتهم، وراحوا يتآمرون على المسلمين ويحرضون القبائل العربية (١٥). وقد كان لهم الدور المهم في قيام الحلف الكبير الذي جاء لحصار المدينة في نيسان ٦٢٧م(١٦). وقد تأكد تحريض بني النضير لقريش ولغطفان مما دفع بالرسول إلى إرسال الفرق العسكرية لمهاجمة بعضهم وقد نجح في قتل زعيمين من زعمائهم هما "أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، وأسير (أو

يسير) بن رازم " (١٧).

وهذه العداوة التي لم تتوقف ظلّت تُؤجِّج نيران الغضب وتدفع باليهود للعمل بكَدّ لإنشاء أحلاف معادية للإسلام. وقد برز تأثير هؤلاء في إقامة الحلف الكبير الذي هاجم المدينة وحاصرها في غزوة "الأحزاب"، ثم بالنجاح بالتآمر مع يهود بني قريظة خلال فترة الحصار، حيث تآمر زعماء بني النضير وقريش وغطفان (١٨) ضد المسلمين، وإذ انكشف ذلك، حوصر اليهود في المدينة وطُردوا منها. لكن هذا الطّرد لبني قريظة لم يساعد على تهدئة الأمور - ورغم أن اليهود الذين بقوا في المدينة أصبحوا أكثر حذراً ويقظة وتجنبوا كل علاقة مشبوهة (١٩)، فإن يهود خيبر الذين كان زعماء بني النضير يعيشون بينهم، كانت تدفعهم رغبة الثأر والإنتقام، فعرضوا أموالهم لتحريض القبائل العربية على حرب الرسول، وعملوا على تحريض قبائل غطفان القويّة (٢٠). وهذا الموقف السافر في عدائه، جعل الرسول يُفكر بجديّة بعد صلح الحديبية، في مهاجمة يهود خيبر، ليعوّض المسلمين عن الخيبة(٢١) التي منوا بها بهذا الصلح الذي لم يرض عنه بعضهم.

أهم أحداث غزوة "خيبر"

تفرّغ الرسول بعد عقده لصلح الحديبية مع قريش في آذار ٦٣٨م(٢٢) وبعد أن ضمن جانب قريش، إلى تصفية حساباته مع الذين ناصبوه العداء، وكان يهود خيبر وعلى رأسهم زعماء بني

النضير الذين هاجروا إلى خيبر بعد طردهم من المدينة على رأس المحرضين لقريش وبني غطفان ضد الرسول، وكان الرسول من جهته، وقد ثُبتَ له ما يفعله هؤلاء، أن أرسل سريتين: **الأولى** مكونة من أربعة أشخاص ويرأسها عبد الله بن عتيك وقد تمكّنت من قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق، **والثانية** بقيادة عبد الله بن رواحة فقتل أسير بن رازم(٢٣). وقد تم قتلهما قبل صلح الحديبية(٢٤)، ولأن الرسول أراد أن يُشغل المسلمين على أثر الإنتقاد الذي أُسْمِع على شروط الصلح، وحول ما سيفعله المسلمون طوال مدة الصلح التي حُدِّدت بعشر سنوات فقد قرر أن المناسبة مواتية لتصفية التأثير اليهودي في شبه الجزيرة العربية، مع كل ما في ذلك من إقناع المسلمين بأن المهام المنوطة بهم كثيرة، ثم تعويضهم عما فقدوه بصلح الحديبية بأسلاب وغنائم وثروات اليهود في خيبر(٢٥).

خرج الرسول ﷺ على رأس جيش عدده حوالي ١٦٠٠ مقاتل (٢٦) وكان ذلك بعد صلح الحديبية بوقت قصير وقد تحدد الوقت ما بين شهر أيار وحزيران من عام ٦٢٨م(٢٧) وقد استعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري(٢٨)، ويقول ابن هشام إنه استعمل نميلة بن عبد الله الليثي(٢٩) وقد أخرج معه زوجته أم سلمة(٣٠)، وكان قبل أن يخرج قد أمر أصحابه بالإستعداد لغزوة خيبر وإحضار من يمكنه الخروج، وقال: لا يخرجن معنا إلاّ راغب

في الجهاد وإلاّ من شهد الحديبية(٣١) ، وقد شَقَّ هذا على مَن بقي بالمدينة من اليهود (٣٢)، وقد علم أهل خيبر باستعدادات الرسول، وقد تأهبوا لملاقاته، لكنهم كانوا متفرقين غير متماسكين، موزّعين على الأودية المجاورة حيث كانت كل جماعة صغيرة تحتل بعض المنازل المحصنة وسط أحراج النخيل وحقول القمح الغنية(٣٣)، وقد اعتمدوا على وعد حلفائهم من غطفان بانجادهم بأربعة آلاف مقاتل(٣٤) . ولكن سرعة وصول المسلمين فاجأتهم، خاصة وأنّ فرسان غطفان الذين خرجوا للتصدي للمسلمين وجدوا أن المسلمين قد حالوا بينهم وبين الوصول إلى خيبر، فخافوا على أموالهم وأهاليهم، وعادوا إلى بيوتهم(٣٥) ، وهكذا وجد أهل "خيبر" أنهم وحدهم يواجهون المسلمين، ولكنهم رغم المباغتة وتخلي غطفان عنهم تحصنوا في حصونهم ورفضوا الإستسلام وأرغموا المسلمين على خوض حرب شرسة هلك فيها العديد من المسلمين. لكن المسلمين هاجموا الحصون حصناً حصناً واحتلوها، وقد حدثت بعض الخيانات بين اليهود سَهَّلَت على المسلمين الإستيلاء على الحصون(٣٦) . وقد استغرق فتح إقليم خيبر مدة ستة أسابيع حيث اضطر الرسول على محاصرة كل منزل ومعتقل حتى يفتحه عنوة بعد قتال عنيف(٣٧) . وقد اشتد غضب الرسول أحياناً بأن ثأر من اليهود باجتثاث أشجار النخيل واجتث منها أربعمائة نخلة قبل أن يتدخل أبو بكر ويوقف ذلك(٣٨) .

وأخيراً، وبعد قتال شديد وقَتل العديد من أبطال يهود خيبر مثل مرحب، وأخوه ياسر وابني أبي الحقيق، استسلم محاربو الحصن الأخير وصالحوا الرسول على أن يخرجوا مع نسائهم وأولادهم، ويخلّوا له جميع ممتلكاتهم(٣٩)، لكن الرسول ولرغبته بعدم إبقاء المسلمين بعيداً عن المدينة وإخوانهم هناك(٤٠)، ولقلة الأيدي العاملة الخبيرة بالزراعة(٤١) وافق على أن يبقى يهود خيبر في أرضهم على أن يعملوا فيها كما كانوا شرط أن يقدّموا نصف غلّتها للنبي(٤٢). وظلت هذه الأتاوة مفروضة عليهم إلى أن أخرج الخليفة عمر بن الخطاب اليهود من بلاد العرب(٤٣). وقد اعتمد عمر بن الخطاب في طرده لليهود من خيبر على حديث للرسول يقول فيه: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب"(٤٤).

تميّز غزوة "خيبر" عن غيرها من غزوات الرسول ﷺ ضدّ اليهود:

رأينا في غزوات الرسول ﷺ السابقة ضد اليهود أنها كانت ردّات فعل حازم وسريع على خطأ ارتكبه أحد اليهود أو أفراد منهم (كما حدث مع بني قينقاع) أو تهمة وُجِّهَت إلى بعضهم لا إثبات لها إلاّ كلام الرسول وما قاله عمّا أُوحيَ له به (كما حدث مع بني النضير) رغم انكارهم التهمة. أو تهمة الخيانة ونقض العهد والتآمر مع الأعداء (كما حدث مع بني قريظة).

ومع أنّ العقاب كان جماعياً في كل الحالات، إلاّ أنّه تميَّز في الغزوتين ضد بني قينقاع وبني النضير بأنّ الرسول اكتفى باخراجهم من المدينة والإستيلاء على أسلحتهم وأموالهم. وحتى في المرة الثالثة ورغم ما كان فيها من قتل الرجال وسِبْي النساء والإستيلاء على الأموال إلاّ أنها كانت بهذه النهاية لقبول الجميع بحكم زعيم الأوس سعد بن معاذ الذي حكم بهذا الحكم القاسي. ولا يمكن أن ندّعي أن الرسول كان ظالماً ومنتقماً في ذلك، فقد قبل التفاوض والوساطة مع بني قريظة تماماً كما قبلها من قبل مع بني قينقاع وبني النضير حتى ولو كانت تهمة بني قريظة أصعب وأخطر لأنها نقض العهد والتآمر مع الأعداء في زمن الحرب والمواجهة.

وهذه الغزوات رغم أنها كانت تمتد إلى الأسبوعين والثلاثة أسابيع أوأربعة أسابيع إلاّ أنها كانت ضمن حدود المدينة وبالقرب من بيوتهم ولم يرافقها أي حدث وإنما كان يمكن دمجها ضمن سياسة الرسول الداخلية والرغبة في تنظيم شؤونه في المدينة وتثبيت الدين الجديد والتخلُّص من كل معارضة تعيق أو تهدد أهدافه وخطواته، ولهذا ظلّت هذه الغزوات ضمن السياسة الداخلية البعيدة عن التدخُّلات الخارجية.

أما غزوات الرسول ضد يهود خيبير فكانت نتيجة لتفكير طويل وترتيب مُركَّز، واستعداد تام، ورغبة في توسيع النفوذ والقضاء على خطر يهدد بتقويض دعائم الدين الجديد حيث أن زعماء

اليهود من بني النضير وغيرهم في خيبر اهتموا بتأليب القبائل العربية ضد المسلمين ودفعوا من أموالهم الكثير لهذا الهدف، أضف إلى ذلك ما كانوا يُواجهون به الرسول من حجج تعتمد على كتبهم المقدسة التي كانت تحرج المسلمين والرسول، وقد تأكد الرسول من خطورتهم في هذا الحلف الضخم الذي جمعوا فيه من مختلف القبائل وخاصة قريش وغطفان ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل غزت الرسول في مدينته في غزوة الخندق(٤٥).

نتيجة لهذه التراكمات كلها ونتيجة لضمانه جانب قريش مع توقيعه صلح الحديبية فقد رأى الرسول أن الوقت مناسب للقضاء على هذا العدو الخطير، ليُمهِّد بذلك لحربه ضد قريش وليسهل له الدرب في طريقه إلى فتح مكّة. وقد رافقت هذه الغزوات أمور وأحداث مهمة أكتفي بذكر بعضها المهم:

أولاً: مشاركة النساء في الغزوة: فقد ذكر إبن هشام في السيرة النبوية أن النساء شاركن في غزوة خيبر بمبادرة منهن(٤٦)، وقد وافق الرسول ﷺ على ذلك وقد رضخ لهن من الفيء. والرسول نفسه اصطحب على عادته في كل غزوة إحدى نسائه، وقد شاركته في هذه الغزوة أم سلمة(٤٧). وقد كانت حجّةً النساء في رغبتهن بالمشاركة بأنهن يقمن بمداواة الجرحى وإعانة المقاتلين.

ثانياً: الرايات: يذكر إبن سعد إنّ الرسول فرّق الرايات على

الرجال في يوم خيبر، وأنه لم تكن الرايات قبل ذلك بل كانت الألوية، ويذكر أن راية الرسول كانت السوداء من برد لعائشة، تدعى العقاب، ولواء أبيض دفعه إلى علي بن أبي طالب، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سعد بن عبادة(٤٨).

ثالثاً: تعويض الصلاة المنسية: وقد حدث أن نسي الرسول وقت الصلاة وفطن إليها بعد مدة فصَلاّها مع الناس ثم قال لهم: إذا نسيتم الصلاة فصَلّوها إذا ذكرتموها، فإن الله تبارك وتعالى يقول: "أقم الصلاة لذكرى"(٤٩).

رابعاً: مساعدة قبائل عربية لليهود: وقد حدث في الغزوات السابقة ضد بني قينقاع والنضير وقريظة أن اعتمد اليهود على حلفائهم من الأوس والخزرج لنجدتهم، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وإنما كان الزعماء من هاتين القبيلتين يكتفون بالوساطة بينهم وبين الرسول لتخفيف الظلم عنهم. أما في غزوة خيبر فقد خرجت غطفان(٥٠) وهي من القبائل المهمة لنصرة اليهود بشكل علني ضد الرسول والمسلمين وتراجعها كان لخوفها على أموالها وأهلها من تدبير قد يقوم به الرسول ضدهم لم يستعدوا له.

خامساً: إبراز مكانة علي بن أبي طالب وحُبّ الرسول ﷺ له: وذلك عندما فشل كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب في تحقيق الفتح للحصن فقال الرسول: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله فيفتح على يديه الله، ليس بفرّار،

فدعا علياً وهو أرمد فَتَفَلَ في عينيه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك(٥١). وقد اختار علياً رغم تطاول عمر وأبي بكر وغيرهما من أبطال المسلمين ليكون الذي يختاره الرسول. وفي هذا الإختيار يبرز تفضيل علي وتقديمه على غيره.

سادساً: موافقة الرسول على تعذيب بعض الأسرى من اليهود: وقد حدث ذلك مع كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق الذي كان عنده كنز بني النضير ورفض الإعتراف بذلك للرسول مما جعل الرسول يهدده بالقتل ومن ثم دفع به إلى الزبير بن العوام وقال له: عذّبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه فدفعه الرسول إلى محمد بن مسلمة فضرب هذا عنقه(٥٢). بينما نراه يلوم بلال على مروره بصفيّة بنت حُيَيّ وفتاة أخرى بين القتلى من يهود خيبر مما جعل تلك الفتاة تصيح وتضرب وجهها وتحث التراب على رأسها، فتأثر لمشهدها الرسول وقال لبلال لائماً: "أَنُزِعت منك الرحمة يا بلال، حين تَمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟" (٥٣).

سابعاً: زواج الرسول ﷺ من صفية بنت حُيَيّ بن أخطب: ليس الغريب هو زواج الرسول، لأن مثل هذا تكرّر وفي مناسبات مشابهة مثل زواجه من جويرية بنت الحارث(٥٤) في أثناء غزوة بني المصطلق. ولكن ما أُسْبِغَ على هذا الزواج من هالة قدسية وكأنه تنفيذ لإرادة الرب هو الجديد، فقد ذكر صاحب

السيرة النبوية أنّ صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، أن قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلاّ أنّك تمنّين ملك الحجاز محمداً(٥٥). فلطم وجهها لطمةً خضّر عينها منها.

ثامناً: محاولة قتل الرسول ﷺ بواسطة السُمّ: حين قامت امرأة باسم زينب بنت الحارث بإهدائه شاة طبختها له ووضعت السم فيها وأكثرت في الذراع التي يُحبّها الرسول، فما كاد يأكل حتى شعر بالسّم فبصق الطعام واستدعى المرأة. فاعترفت بفعلتها وعلّلتها بأنّها أرادت الإنتقام منه لقتله الكثيرين من قومها(٥٦)، وقد أمر الرسول بقتلها، بينما يرى صاحب السيرة أن الرسول تجاوز عنها(٥٧). وكان لهذه الحادثة أهميتها حيث اعتُبر الرسول بعد موته شهيداً، لأنّه رُوي على لسانه وهو يعاني مرضه الذي توفي فيه قوله: "إنّ هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت بخيبر"(٥٨).

تاسعاً: عدم التزام المسلمين بالنّظام: وقيامهم بالإستيلاء على المغانم وبيعها، مما استدعى الرسول إلى التدخل ومنع ذلك حتى تقسم الغنائم بالعدل(٥٩).

عاشراً: انتهاك المسلمين لحرمة السبايا من نساء "خيبر": مما جعل الرسول ﷺ يستفظع ذلك ويأمرهم بالإمتناع عن إتيان السبايا من الحبالى(٦٠)، ونادى منادي الرسول: "من

كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ما زَرَعَ غيره. ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَقَعنّ على امرأة من السبي حتى يستبرئها" (٦١).

أحد عشر: إصدار الرسول ﷺ لبعض المُحَرَّمات: لأنه رأى عدم التزام المسلمين، مثل النهي عن أكل لحوم الحُمُر الإنسيّة. والنهي عن أكل كلّ ذي ناب من السباعِ. والنهي عن إتيان الحبالى من السبايا، وعن بيع المغانم حتى تُقسم(٦٢). وحرم لحوم البغال وكل ذي مخلَب من الطير وحرّم المجثمة والخلسة والنهبة(٦٣). بينما سمح بأكل لحوم الخيل(٦٤).

إثنا عشر: مواجهة الرسول ﷺ لليهود بعد حادثة الشاة المسمومة: فقد طلب الرسول إحضار من يوجد من اليهود وقال لهم: "إنّي سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيّ عنه؟ وقالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم: مَن أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان. فقال الرسول: كذبتم أبوكم فلان. فقالوا: صدقت وبررت. فقال: مَن أهل النار؟ فقالوا: تكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال الرسول: اخسئوا فيها ولا نخلفكم فيها أبداً. ثم قال لهم: هل جعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟ قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً استَرَحنا منك، وإن كنت نبياً لم يضررك(٦٥). وقد ذكرتُ سابقاً أن التي وضعت السم في الشاة هي زينب بنت الحارث، واعترفت بفعلتها وقُتلت

بسببها (٦٦).

هذه الأحداث التي رافقت غزوة الرسول إلى خيبر تؤكّد لنا أهمية هذه الغزوة وتميّزها عن غيرها من الغزوات.

كلمة أخيرة

كان سقوط خيبر مقدمة لسقوط باقي المواقع اليهودية الأخرى وقبولها شروط الرسول، وكان هذا يعني توقف المقاومة اليهودية (٦٧)، رغم بقاء بعضهم يعيشون في المدينة وغيرها من بلاد العرب، ولكنّهم عاشوا بعيداً عن أيّ نشاط سياسي. فقد اكتفوا بتوفير مصادر رزقهم والإعتناء بمشاغلهم اليومية، وتوقفوا عن أيّ معارضة للرسول ولدينه الجديد طوال فترة حياته. حين كانت خلافة عمر بن الخطاب وقيامه بطرد اليهود، باعتماده على حديث نبوي نُسب للرسول يقول فيه: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب (٦٨).

الإشارات

١ - مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣٢ ودائرة المعارف الإسلامية - المجلد التاسع ص ٥٥ .

٢- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣٠ .

٣- المصدرالسابق - ص ٣٤٦ .

٤- ابن هشام - السيرة النبوية - ص ١٤٧ - ١٥٠ .

٥- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣١-٣٣٢ .

٦- دائرة المعارف الإسلامية - المجلد التاسع ص ٥٤ مادة خيبر لأدولف جرومان .

٧- ياقوت - معجم البلدان- الجزء الثاني - ص ٤٠٩- ٤١١ .

٨- دائرة المعارف الإسلامية - المجلد التاسع ص ٥٥ "مادة خيبر" .

٩- الطبري - تاريخ الطبري - الجزء الثالث - ص٩٣-٩٤ ، وابن هشام السيرة الجزء الثالث ص ٣٤٩ .

١٠ - ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٥٠ .

١١ - المصدر السابق - الجزء الثاني ص ٢٠٧ .

١٢ - المصدر السابق - الجزء الثالث ص ٥١ .

١٣ - ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ١٩٩ .

١٤- المصدرالسابق - ص ٥١ .

١٥- المصدرالسابق - ص ٢٢٥-٢٢٦ .

١٦- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٢٤ .

١٧- ابن هشام - السيرة النبوية الجزء الثالث - ص ٢٨٦-٢٨٩ و مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٢٤ .

١٨- السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٢٣٢-٢٣٣ .

١٩- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣١ .

٢٠- المصدر السابق - ص ٣٣٢ .

٢١- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص ٥٦، مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣٢ ودائرة المعارف الإسلامية - المجلد التاسع "مادة خيبر" ص٥٥ .

٢٢- محمد حسين هيكل -حياة محمد - ص ٣٦٣ .

٢٣- محمد عزة دروزة - تاريخ الجنس العربي - الجزء السادس - ص ٢٦١ والسيرة النبوية ج٣ ص ٢٨٦ .

٢٤- المصدر السابق لدروزة -ص ٢٦١ .

٢٥- دائرة المعارف الإسلامية - المجلد التاسع "مادة خيبر" ص٥٥ . ومونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣٢ وكارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص ٥٦ .

٢٦- المصادر الثلاثة السابقة .

٢٧- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣٢ .

٢٨- ابن سعد - كتاب الطبقات - الجزء الثالث القسم الأول - ص٧٧ والطبري - تاريخ الطبري الجزء الثالث - ص٩١ .

٢٩- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٣٤٢ .

٣٠- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٣، القسم الأول - ص٧٧ .

٣١- المصدر السابق . ومحمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٣٧٤ .

٣٢- ابن سعد - المصدر السابق .

٣٣- دائرة المعارف الإسلامية - المجلد التاسع "مادة خيبر" لجروهمان ص ٥٥ - ٥٦ .

٣٤- المصدر السابق . وكارل بروكلمان -تاريخ الشعوب الإسلامية - ص ٥٦ .

٣٥- الطبري - تاريخ الطبري - الجزء الثالث - ص ٩٢، والسيرة النبوية - الجزء الثالث ص ٣٤٤ .

٣٦- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣٢- ٣٣٣ . ودائرة المعارف الإسلامية ص ٥٦ .

٣٧- دائرة المعارف الإسلامية - المجلد التاسع ص ٥٦ . وذكر البلاذري أن حصار خيبر كان ما بين عشرين إلى ثلاثين ليلة - فتوح البلدان . ص ٣٩ .

٣٨-المصدر السابق .

٣٩- ابن هشام - السيرة النبوية - جزء ٣، ص ٣٥٢ والطبري ، جزء ٣، ص ٩٥ ، ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٣، قسم ١، ص ٨٢ .

٤٠- محمد حسين هيكل - حياة محمد - ص ٣٧٧ وكارل بروكلمان - المصدر السابق - ص ٥٧ .

٤١- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٣، القسم الأول - ص ٨٢ .
٤٢- المصدر السابق والبلاذري - فتوح البلدان - ص ٣٨ - ٣٩ .
٤٣- ابن سعد - الطبقات - الجزء الثالث القسم الأول - ص ٨٣ ودائرة المعارف الإسلامية مادة خيبر - ص ٥٦ . والبلاذري - فتوح البلدان - ص ٣٦-٣٩ .
٤٤- البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤١ . والسيرة النبوية لابن هشام - الجزء الثالث ص ٣٧١ .
٤٥- مونتجمري وات - محمد في المدينة - ص٣٢٤ .
٤٦- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٣٥٦-٣٥٧ .
٤٧- ابن سعد - كتاب الطبقات - جزء ٣، قسم ١، ص٧٧ .
٤٨- المصدر السابق - ص ٧٧ . والسيرة النبوية - جزء ٣، ص ٣٤٩ .
٤٩- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٣٥٥ .
٥٠- المصدرالسابق - ص ٣٤٤ .
٥١- المصدرالسابق - ص ٣٤٩ .
٥٢- المصدرالسابق - ص ٣٥١ .
٥٣- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٣٥٠ - ٣٥١، والطبري الجزء الثالث ص ٩٤، بينما ابن سعد في كتاب الطبقات الجزء ٣، القسم الأول - ص ٨١ لا يذكر اسم بلال ويقول "رجلاً" .
٥٤- ابن هشام -السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٣٠٧ .
٥٥- المصدر السابق - ص ٣٥١، والطبري - تاريخ الطبري - الجزء

الثالث ص ٩٤ .

٥٦- ابن هشام - السيرة النبوية - جزء ٣، ص ٣٥٢ ، والطبري المصدر السابق ص ٩٥وابن سعد كتاب الطبقات- جزء ٣ ، قسم ١ ، ص ٧٨ .

٥٧- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزد الثالث - ص ٣٥٣ .

٥٨- المصدر السابق - ص ٣٥٣ .

٥٩- المصدرالسابق - ص ٣٤٥ .

٦٠- المصدرالسابق - ص٣٤٥ .

٦١- المصدرالسابق - ص ٣٤٦- ابن سعد . كتاب الطبقات ج القسم الأول ص ٨٣ ودروزة ج٦ ص ٢٦٢ .

٦٢- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٣٤٥، ابن سعد - الطبقات قسم ١١/ ٨٣ .

٦٣- ابن سعد - الطبقات - الجزء الثالث القسم الأول - ص ٨٢ .

٦٤- المصدر السابق ص ٨٢ . والسيرة النبوية - الجزء ٣ - ص ٣٤٥ .

٦٥- ابن سعد - الطبقات - الجزء الثالث القسم الأول - ص ٨٤ .

٦٦- ابن سعد - الطبقات - الجزء الثالث القسم الأول - ص ٧٨ .

٦٧- مونتجمري وات - محمد في المدينة - ص ٣٣٤ .

٦٨- البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤١ . والسيرة النبوية - الجزء الثالث ص ٣٧١ .

صفات اليهود الخلقية كما صُوِّرَت في السيرة النبويّة

اهتم ابن هشام، في تعرضه لمواقف اليهود المختلفة التي ذكرها في كتابه أن يؤكد على مسؤوليتهم عن كل ما لحق بهم من عقاب وعذاب، وكان حاداً في ذكر بعض المواقف مثل ذكره لما قيل على لسان الراهب بحيرا عندما زاره محمد ﷺ وهو في الثانية عشرة من العمر برفقة عمه أبي طالب موجهاً الكلام لأبي طالب قائلاً: "إرجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا ما عرفت ليبغنه شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم" (١).

وقد اهتم ابن هشام أن يرسم للرسول الصورة المثالية المحبة للسلام والجوار والتعاون فبين أن الرسول - يوم نزل عليه الوحي، وبعد تأكيد ورقة بن نوفل لصدق هذا الوحي بقوله: "إنه الناموس الذي نزل على موسى" (٢) - لم يتصوّر أنّ القوم الذين تخيّل أنّهم أقرب الناس إليه في العقيدة والإيمان، وأعني بهم اليهود، سيكونون الخصم العنيد والأكثر خطراً على نجاح دعوته.

فالرسول كان كغيره من أبناء مكة يعرف ما يتناقله الناس من أقوال اليهود وقصصهم حول النبي المنتظر الذين ينتظرون ظهوره قريباً، وكان كالمهتمين بشؤون الناس والحياة والعالم

يحفظ بعض ما ورد في كتب اليهود المقدسة خاصة ذلك القسم المتعلق بقصص أنبيائهم.

وقد جاءت السور المكيّة لتعزز من مكانة اليهود وإعزاز الرب لهم(٣) ضمن فترة زمنيّة كانوا فيها ممتثلين لأوامر الله. لقد كان النبي محمد يرى أنّ مهمّته في بداية الدعوة تحذير قومه من سوء العاقبة يوم القيامة، الذي ورد ذكره أيضاً في كتب اليهود والنصارى المقدسة (٤).

وبرز في السّور المكيّة تَقديم النبي موسى على إبراهيمٍ بسبب أهميته كنبي كان رائداً للرسول، بينما يبدو إبراهيم واحداً من أنبياء كثيرين(٥). ويبدو أن إبراهيم لم يرسل للعرب لأن الرسول أرسل لشعب لم يعرف الرسل، كما لا تذكر أية علاقة بين إبراهيم واسماعيل والكعبة(٦). وإن كان هذا الموقف يرفضِ في أيامنا هذه من قبل العديد من الباحثين ويتنافى مع ما ثُبتَ من الحقائق التاريخيّة.

ويهتم إبن هشام في السيرة أن يؤكد على مدى الجهد الذي بذله الرسول للتقرب من اليهود قبل هجرته للمدينة وذلك بمحاولاته الإتصال بزعمائهم عن طريق مبعوثية من المسلمين، أو عن طريق الإيعاز لهم باحترام شعائر اليهود ومراعاة مقدساتهم ومراكزهم(٧). حتى أن البعض يرى أن اختيار الرسول بيت المقدس قبلة للمسلمين وقت الصلاة، ويوم عاشوراء لصيام

المسلمين، وفرض بعض المحرمات التي تحرمها الكتب اليهودية المقدسة ليس إلاّ رغبة من الرسول لإثبات ما يقوله من تطابق الديانتين، أن لا خلاف ديني بين ما يدعو إليه وما يؤمن به اليهود. كذلك اهتم أن يحافظ على استقلالهم بأن عاملهم بشكل مساو للمسلمين وعرفهم كأمة مستقلة(٨)، وحلل للمسلمين طعام الذين أوتوا الكتاب ومحصناتهم(٩). حتى أنه لفترة وافق على عدم دخول اليهود في الإسلام واكتفى بقيام حلف بين المسلمين واليهود يعتمد على التفاهم بينهما، دون أن يطلب من اليهود التخلي عن عقيدتهم أو أن يعترفوا بمحمد كنبي طلب إليه أن يبلغهم رسالة الهية(١٠).

ويجتهد ابن هشام ليؤكد أنّ الرسول، رغم كل الجهود الجبارة التي حاولها لاستمالة اليهود للدين الجديد، وللعيش بسلام معه، فانهم لم يغيروا موقفهم، وراحوا يعلنون انتقاداتهم اللاذعة لنبوته، ويسخرون من كلّ خطوة يقوم بها مثل موقفهم منه بعد تغيير قبلة المسلمين وقت الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة في مكة. ويرى بروكلمان أنّ ردّ فعل الرسول كان بالتشدد مع اليهود فعيّن مناديا للصلاة يُعرف بالمؤذّن وفرض صوم شهر رمضان، واتّخذ يوم الجمعة يوماً مقدسا(١١). وعمل على إعلاء مكانة إبراهيم وجعله أباً للأنبياء وأنه أول مسلم وأنه أبو العرب، وعمل أيضاً على الفصل النهائي بين المسلمين واليهود

وإعلاء مكانة المسلمين على غيرهم من الأديان الأخرى(١٢).

بينما الحقيقة هي أن تبديل القبلة من بيت المقدس إلى مكة كان بنزول الآية القرآنية " قد نرى تقلّبَ وجهكَ في السماء فلنولينّك قبلةً تَرضها فولّ وجهَك شطرَ المسجد الحرام وحيثُ ما كنتم فولّوا وجوهكم شطرَه وإنّ الذين أوتوا الكتاب لَيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم وما الله بغافل عمّا يعملون " (سورة البقرة، آية ١٤٤)، وحتى يرد على انتقاد المعارضين والناكرين نزلت الآية القرآنية " سيقول السّفهاءُ من الناس ما ولّيهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم " (سورة البقرة، آية ١٤٢). وأيضا صيام شهر رمضان كان بأمر ربّاني حيث نزلت الآيات القرآنية التي تقول " يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون " (سورة البقرة، آية ١٨٣). وقوله تعالى: "شهر رمضان الذي أ نزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمَن شهد منكم الشهر فليصمه ومَن كان مريضا أو على سفر فعدّة من أيام أخر يُريدُ الله بكم اليُسرَ ولا يُريد بكم العسرَ ولتُكملوا العدّة ولتُكبّروا الله على ما هداكم ولعلّكم تشكرون " (سورة البقرة، آية ١٨٥). كذلك نزلت الآية التي تؤكّد على خصوصية يوم الجمعة بقوله تعالى: "يا أيّها الذين آمنوا إذا نوديَ للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " (سورة الجمعة، آية ٩)

هكذا تدرّج معنا إبن هشام ليُثبت أنه لم يكن أمام الرسول والمسلمين غير ما فعلوه مع اليهود حيث قام بإخراج قبيلتي قينقاع والنضير من المدينة، وبقَتل رجال بني قريظة وسَبي نسائها وتقسيم أموالها.

ويلاحظ المتتّبع لكلام ابن هشام في السيرة النبوية، أنه يهتم في دمغ اليهود بكل الصفات السلبية وخاصة الخلقية منها، وأن يظهرهم في صورة نقيضة لما يتعارف عليه الناس في مجتمعات ذلك العهد، وكأنهم نقيض لكل ما اعتز به العربي وحفظه، ولا يخفي على القارئ أن ابن هشام جمع الروايات والقصص والأحاديث المتفرّقة وحاول إسباغ الحقيقة عليها بما كان يُضمّنه من آيات قرآنية خلال سرده للرواية.

ومن أهم الصفات التي أبرزها في اليهود:

١- إنكار الحقيقة التي كثيراً ما بشّروا بها:

لقد بين إبن هشام في عدة مواضع من السيرة أن اليهود كانوا من الذين بشّروا بقرب ظهور النبي، والكثير منهم انتظره بفارغ الصبر لأنه رأى قي ظهوره نصراً لليهود وسنداً لهم ضد خصومهم، خاصة من الأوس والخزرج في المدينة. ويذكر كيف أنهم تنكروا للرسول بعد نزول الوحي عليه وقالوا إنّه ليس الذي قصدوه وانتظروه، دون أن يُفسّر سببَ رفضهم وذلك ليُؤكّد

صدقَه فيما يتّهمهم به، ويذكر قصة الرجل من بني الأشهل الذي كان يُؤكد لمحدثيه قرب ظهور نبي مبعوث من نحو مكة أو اليمن، وإذ بعثَ الله محمداً فإن هذا الرجل قال: إنه لا ينكر ما قال عن بعث نبي قريب ولكن هذا ليس محمداً(١٣). وقصة ابن الهيبان وتبشيره بقرب ظهور النبي وكيف أن بني قريظة رفضوا الإنصياع لوصيته واتباع النبي بقولهم انه ليس الذي قصده إبن الهيبان(١٤)، ويستشهد ابن هشام بقصص كثيرة أخرى كلها تؤكد نفس التهمة.

٢- الكذب والزيف:

ويكرر إبن هشام ذكر هذه الصفة والصاقها باليهود، فمثلاً يذكر أنّ ابن سلام عندما أعلن إسلامه، طلب من الرسول أن لا يخبر أحداً عن إسلامه إلاّ بعد أن يستمع إلى كلام اليهود فيه، لأنهم في رأيه قد يزيفون الحقيقة إذا علموا، فهم قوم بهت(١٥).

ويذكر ما قاله حبرهم وعالمهم مخيرق عندما دعاهم لنصرة الرسول في غزوة أُحد لأنه في رأيه نبي صدقت دعوته، ولكن اليهوداعتذروا عن تلبية الدعوة لأن اليوم يوم سبت ولا يمكنهم العمل في يوم سبت. فغضب مخيرق وقال لهم: لا سبت لكم. ثم أخذ سلاحه وخرج وحارب مع المسلمين حتى استشهد في غزوة "أُحد" وقد أوصى بأمواله للرسول(١٦).

٣- لا أمان لهم ولا يحفظون العهود:

ويبرز ابن هشام هذه الصفة بشكل بارز في عدّة مواضع

من السيرة لتأكيد عدالة ما نزل على اليهود من العقاب. ولتبرير ما قام به الرسول والمسلمون ضدهم. فمثلاً يأتي بذكر موقف بني قينقاع من الرسول ودعوته لهم بعد **بدر** لقبول الإسلام، وما حدث في حيهم مع المرأة العربية، وما أدى إلى حصارهم وجلائهم، ويجتهد ابن هشام ليؤكد أن بني قينقاع هم الذين نقضوا العهد وكانوا بذلك أول من فعل ذلك وحاربوا المسلمين ما بين **بدر وأحد**(١٧).

كذلك كان نقض بني النضير للعهد باستقبال زعيمهم لأبي سفيان الذي جاء مهاجماً المدينة ودخلها متستراً ليستمع إلى أخبار المدينة من فم زعيم بني النضير(١٨). ويذكر أيضاً ما قيل عن تآمر بني النضير لقتل الرسول عندما جاءهم يطلب دفع حصتهم بدية القتيلين(١٩)، ثم نقض بني قريظة للعهد بتآمرهم مع حيي بن أخطب والموافقة على التآمر مع المشركين ضدّ الرسول أثناء حصار المشركين للمدينة في غزوة الخندق. (٢٠) وغير ذلك من الروايات والقصص كثير.

٤- وصفهم بالحسد:

وقد أبرز إبن هشام هذه الصفة في الكثير من المواضع مثل قصته عن حيي بن أخطب وأخيه ياسر بأنهما كانا من أشدّ يهود للعرب حسداً(٢١). وقصة الرسول مع ابن صوريا الذي قال مصارحاً الرسول: " والله يا أبا القاسم أنهم ليعرفون أنك لنبي

مرسل ولكنهم يحسدونك " (٢٢) . واستشهد بالعديد من الآيات القرآنية ليؤكد صدق هذه الصفة، مثل قوله تعالى "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق " (٢٣) .

٥- إثارة الفساد والخلاف بين الناس:

اهتم ابن هشام بإبراز هذه الصفة ليدلل على مدى تسامح الرسول وتغاضيه عن كثير من المضايقات والتحدّيات التي كان يلقاها من اليهود ومن ثم ليبرر نفاذ صبره في معاقبته لهم، مثل ما ذكر من قصة الشاب اليهودي الذي ذَكّر شباب الأوس والخزرج المجتمعين بيوم بُعاث وما حدث بعد ذلك من إثارة النزاع بينهم، الأمر الذي استدعى تدخل الرسول لفضّ الخلاف(٢٤) .

٦- اتّهامهم بالغرور:

وهذه الصفة اجتهد ابن هشام في تثبيتها في اليهود ليُبين أن الرسول كان مرغماً على معاقبتهم وحربهم وطردهم بعد أن فشلت كل محاولاته للتقرب منهم والعيش معهم بسلام.

والقصص التي يذكرها ابن هشام كثيرة منها على سبيل المثال قول اليهود للرسول عندما جاءهم في المدينة "انّا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء " (٢٥) . وحادثه فنحاص مع أبي بكر الذي تطاول في كلامه على الله والرسول وأظهر فقر الله إليهم مما أغضب أبا بكر وجعله يضربه(٢٦) ، ومثل قولهم "بأنهم أبناء الله

وأحباؤه " (٢٧) . وخبر رفاعة بن زيد بن الثابوت من عظماء اليهود الذي كان إذا كلّم الرسول لوى لسانه وقال: "يا محمد أرعنا سمعك حتى نفهمك" ، ثم يطعن في الإسلام ويعيبه(٢٨).

"وموقف الغرور الذي برز في جواب بني قينقاع للرسول عندما جاءهم بعد غزوة بدر يطلب منهم أن يقبلوا دعوته لهم للإسلام حيث قالوا: يا محمد، أنك ترى أنّا قومك، لا يغرنّك أنّك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس" (٢٩).

٧- اتّهامهم بالكفر:

لقد عمل إبن هشام كل جهده لوصم اليهود بكل الصفات السلبية التي ورد ذكرها سابقاً، ولكنه لم يكتف بذلك وإنما أراد تبرير كل المظالم التي لحقت بهم على يد الرسول والمسلمين، فرأى أن يصمهم أيضاً بتهمة الكفر، واستعان بالعديد من الآيات القرآنية ليؤكد صدق اتهامهم مثل قوله تعالى: "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين" (٣٠).

٨- أنكارهم لنبوّة داود وسليمان ورفضهم لنبوّة الرسول وتفضيلهم للشّرك:

لم يكتف إبن هشام بايراد مواقف اليهود الرافضة والمنكرة لنبوّة محمد، وإنما يأتي بأمثلة لإنكار اليهود لنبوّة داود وسليمان وكيف قالوا "إنّ سليمان لم يكن إلاّ ساحراً" (٣١). ومن

المعروف أن اليـهـود لا يرون في الملك داود وإبنه سليـمـان أنبـيـاء .
كذلك يبرز إبن هشام كيف أن اليهود كانوا يُفضّلون عبادة الشرك
على عبادة الله ، وذلك بإيراده قصة ما نسب إلى اليهود من قولهم
على سؤال رجال من قريش لهم : " حول من أفضل دين قريش أم
دين محمد؟ فكان الجواب : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى
منه وممن اتّبعه " (٣٢) . ويستشهد بقوله تعالى " ألم تر إلى الذين أتوا
نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوث " (٣٣) ، ليُثبت صحّة
اتّهامه لهم.

خلاصة موقف إبن هشام من اليهود كما يبرز في السيرة النبوية

لم يكتف ابن هشام في موقفه المتطرف من اليهود بذكر الصفات الأساسية السلبية التي ركز عليها وذكرتها أعلاه، وإنما اهتم أن يؤكد أن ما ذكره ليس كل شيء، فهناك أمور كثيرة اكتفى بذكرها، أو لمح إليها، كلها تسيء إلى اليهود وتؤكد سلبياتهم. فهو في أكثر من مكان يؤكد تآمرهم على الرسول، ورغبتهم بالسخرية منه والحط من مكانته، والسعي للتحريض عليه، وكل ذلك معارضة لإرادة الرب، ومعاندة لرغبته في تأييد محمد ودينه.

وكان الرسول كما يظهره ابن هشام فيما أورد من روايات وقصص وحوادث، يضيق ذرعاً بهم، ولا يتمالك نفسه من إعلان رفضه واحتقاره لهم ورغبته في الخلاص منهم ومن معارضتهم الخطيرة له. فقد كان يرفض الإستعانة بهم(٣٤) ويتهمهم بالكفر مراراً(٣٥) ، ووصفهم في غزوته لبني قريظة "باخوان القردة". و "للذين يخزيهم الله وينزل بهم نقمته" (٣٦) ، كذلك اهتم أن يبين أن الله كان ضدهم وكارههم، فهو الذي نصر الرسول عليهم في غزوة بني قينقاع، وبني النضير وهو الذي نبه الرسول إلى وجوب القيام بغزو بني قريظة عن طريق الملاك جبريل الذي سارع ليزلزل بيوتهم عليهم(٣٧) ، كذلك يذكر أن الأمر وصل بالرسول إلى

درجة التحريض على قتل كل يهودي بقوله : " من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه " خلال حروبه مع اليهود(٣٨) . وتحذير المسلمين من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء لهم " (٣٩) . وهو نفسه أرسل الفرق الخاصة لاغتيال بعض رجال اليهود مثل كعب الأشرف وأبي رافع - سلام بن أبي الحقيق -(٤٠) . وكما ذكرت، يهتم إبن هشام بذكر العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى صفات اليهود السلبية، ليُظهر أنّ ما يقوله مُؤيّد من الرب. مثل اتهامهم بالكذب(٤١)، ونَقض الميثاق(٤٢)، والتّعنّت ورفض دعوة الرسول(٤٣)، وتحريف كلام الرب في التوراة(٤٤)، وشراء الحياة الدنيا بالآخرة(٤٥)، وتأييد أهل الشرك حتى ضد إخوانهم من اليهود ونقضهم بذلك لما جاء في التوراة(٤٦)، والغرور(٤٧)، والغدر (٤٨)، والكفر(٤٩) والجحود (٥٠)والتزوير وإنكار الحقيقة(٥١)، واستعلائهم على العرب(٥٢).

لكن التهمة الخطيرة والكبيرة والتي كان لها أثرها في الجدل الديني الحاد فيما بعد، فهي تهمة التّحريف والتي سنخصّص لها باباً خاصاً.

الإشارات

١- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الأول - ص١٩٤ .

٢- المصدر السابق- ص٢٥٤ .

٣- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص٣١٢ .

٤- جورج كيرك - موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر -ص١٩ .

٥- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص٣١٢ .

٦- المصدر السابق

٧- المصدر السابق- ص٣٠٢ .

٨- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص٣٠٦ .

٩- المصدر السابق- ص٣٠٥ والقرآن الكريم سورة المائدة آية ٥-٧ .

١٠- مونتجومري وات - محمد في المدينة - ص٣٠٦- ٣٠٧ .

١١- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص٤٧-٤٨ .

١٢- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص٤٨ و הנרי למנס,האסלאם, ע" 33 ו גויטיין- הפרק על מוחמד - ע" 54

١٣- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الأول ٢٢٦

١٤- المصدر السابق - ص ٢٢٧

١٥- المصدر السابق - الجزء الثاني - ص ١٦٤

١٦- المصدر السابق - ص ١٦٥

١٧- المصدر السابق - الجزء الثالث - ص ٥٠ - ٥١

١٨- المصدر السابق - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٤٧

١٩- المصدر السابق - ص ١٩٩ - ٢٠٠

٢٠- المصدر السابق- ٢٣١-٢٣٢

٢١- المصدر السابق - الجزء الثاني - ص ١٩٧

٢٢- المصدر السابق - ص ٢١٤

٢٣- المصدر السابق - ص ١٩٧ والقرآن الكريم سورة البقرة آية ١٠٩

٢٤- المصدر السابق - ص ٢٠٤ - ٢٠٥

٢٥- المصدر السابق - الجزء الأول - ص ٣٣٠

٢٦- المصدر السابق - ص ٢٠٧ - ٢٠٨

٢٧- المصدر السابق - ص ٢١٢ والقرآن الكريم - سورة المائدة آية ١٨

٢٨- المصدر السابق - ص ٢٠٩

٢٩- المصدر السابق - الجزء الثالث - ص ٥٠

٣٠-المصدر السابق - جزء ٢ ، ص ١٩٠ والقرآن الكريم البقرة آية ٨٩

٣١- المصدر السابق - ص ١٩٢

٣٢- المصدر السابق - ص٢١٠

٣٣- المصدر السابق - ص ٢١٠ والقرآن الكريم سورة النساء آية ٥١

٣٤- محمد حسين هيكل - حياة محمد - ص ٢٨٥

٣٥- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٦٨

٣٦- المصدر السابق - ٢٤٥

٣٧- المصدر السابق - ص ٢٤٤

٣٨- المصدر السابق - ص ٦٢

٣٩- المصدر السابق - ص ٥٣و القرآن الكريم - سورة المائدة آية ٥١

٤٠- المصدر السابق - ص ٦٠

٤١ و ٤٢- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ١٨٢، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٩، والجزء الثالث ص ٥٣

٤٣- المصدر السابق - ص ١٨٥ و القرآن الكريم - سورة البقرة آية ٧٦

٤٤- المصدر السابق - ص ١٨٤و ١٨٥ والقرآن الكريم - سورة البقرة آية ٧٥.

٤٥- المصدر السابق - ص ١٨٨

٤٦- المصدر السابق - ص ١٨٩

٤٧- المصدر السابق- ٢١٢ و ص ٢٠٧ والقرآن الكريم سورة المائدة آية ١٨

٤٨- المصدر السابق - ص ١٩٢ والقرآن الكريم - سورة البقرة آية ١٠٠

٤٩- المصدر السابق - ص٢١٤ والجزء الثالث - ص ٥١ وص ٢٠٢

٥٠ و ٥١- المصدر السابق - ص ٢١٧

٥٢- المصدر السابق - ص ٢٢٠(قول بعض أحبار اليهود لعبد الله بن سلام : ما تكون النبوّة في العرب).

التّحريف أخطر تهمة وجّهت لليهود

تعني كلمة (حرّف) بتشديد عين الفعل (عدّل)، وتحريف الكلام عن مواضعه كما يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب يعني (تغييره)، والتحريف في القرآن والكلمة: يعني تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها(١)، كقوله تعالى: "يحرفون الكلم عن مواضعه" (سورة النساء، آية ٤٦).

كانت تهمة التّحريف من التهم الخطيرة التي وجهت إلى اليهود وشغلت حيزاً كبيراً في الجدل الديني الذي اشتد في العصور المتوسطة، وقد كانت أوّل إشارة إلى إلقاء تهمة التحريف على اليهود في قوله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا" على أثر الأسئلة التي لقّنوها لوفد قريش كي يُحرجوا بها الرسول قبل هجرته إلى المدينة (٢) ولم يُنكر الرسول ما عناه بقوله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" عندما سأله أحبار اليهود حين قدم إلى المدينة فقال بوضوح: "كُلاً. وعندما ذكّروه بقوله: إنّا قد أوتينا التوراة فيها بيان كلّ شيء. قال الرسول: إنّها في علم الله قليل وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه" (٣). وفي هذا الموقف الواضح تحدّ لاعتقاد اليهود بشموليّة وكمال التوراة، وثم بمدى تمسّك اليهود بدينهم وكتبهم المقدسة.

ثمّ أخذت التهم تكون مباشرة من الرسول ومن الصحابة.

وبالمقابل واجه اليهود كلام الرسول والمسلمين بالسخرية والهزء والتكذيب، ولكنهم كانوا حذرين كي لا يصل الأمر إلى ما وراء الكلام، مثل سخريتهم من الرسول وإنكارهم لنبوّته يوم مات " أبو أمامة " حيث قالوا: "لو كان نبيّاً لم يمت صاحبه" (٤) وقول أحدهم يوم ضلّت ناقة الرسول: "يزعم محمد أنّه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته" (٥). وسؤال اثنين للرسول عندما دخل بيت مدارس اليهود ليدعوهم لتقبّل الإسلام قائلين: "على أيّ دين أنت يا محمد؟ قال الرسول: على ملّة إبراهيم ودينه. فقالا له: فإنّ إبراهيم كان يهودياً" (٦) وقول آخرين للرسول: " يا محمد ، ما ولاّك عن قبلتك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنّك على ملّة إبراهيم ودينه؟ إرجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدّقك " (٧).

لكنّ هذا التوجّه الساخر كان أعجز من أن يُزعزع إيمان الرّسول بصحة ما يوحى إليه ، بل إنّ معارضة اليهود لتعاليمه كما يقول بروكلمان: "حملته على أن يستنتج أنّهم قد ضلّوا عن طريق الإيمان الصحيح، وأنّهم قد حرّفوا الكتاب المقدس الذي اعتقد هو نفسه أنّه مُنزَل من عند الله" (٨).

ويرى الدكتور جواد علي " أنّ خصومة اليهود للإسلام بدأت خصومة فكرية، هم يرفضون الإعتراف بنبوّة الرسول، وبأنّ دعوته موجّهة إليهم، ويرفضون نبوّة في غير بني إسرائيل، والرسول

يدعوهم إلى الإيمان بالله وإلى الدخول في دعوته المبنيّة على الإيمان بالله ربّ العـالمين، ربّ العـرب وبني إسـرائيل والعـجم، وعلى الإيمان بنبوّته وبنبوّة الأنبياء السابقين، ثم تطوّرت هذه الخصومة إلى معارك وحروب" (٩).

ويظهـر إبن هشـام السـبب الذي دعـا الرسـول إلى اتهـام اليهود بتحريف ما جاء في التوراة، إذ أن الرسول رفض الكثير من التفسيرات التي أسمعها اليهود لبعض النصوص التوراتية، كما أنه شك في تبديلهم لبعض النصـوص، وذلك على أثر مـا لاقى من معارضة وسخرية من جانبهم. وألخّص أهم النقـاط التي اتّهم بهـا اليهود في تحريفهم للكتاب المقدس فيما يلي:

١ - **الجهل**: ويقصد بذلك أنّ اليهود رغم أنّهم أصحاب الكتاب الأوّل، ويملكون المعرفة والعلم إلاّ أنّ الحقيقة الكاملة والشاملة ليست كلّها من حظّهم. وقد أشار الرسول إلى ذلك بقوله: "وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا"، وعندما ألحّ عليه الأحبار ليُفصح عمّا عناه بذلك وضّح قـائلا: "إنّهـا - أي التـوراة - في علم الله قليل (١٠). ويثبت ذلك في مـجال الحـديث عن ابراهيم الخليل وادّعاء اليهود أنّه منهم وتحدّي الرسول لهم بقوله: "فهلمّ إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبوا ذلك" (١١). وقد جاء كلام الله ليؤكّد جهل اليهود بقوله تعالى: "يأهل الكتاب لِمَ تُحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون، ها

أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلمَ تُحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما وما كان من المشركين " (١٢).

والجهل لا ينحصر في ما ليس بالكتاب وإنّما أيضا لما في كتابهم المقدس، ويُفسّر ابن اسحق قوله تعالى "وإن هم إلاّ يظنون" : بقوله: "أي لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه" . (١٣).

٢- التستّر على بعض ما جاء في التوراة:

وهذه التّهمة لصقت بهم على أثر محاولة حبرهم إخفاء آية الرّجم عندما طلب منه الرسول أن يقرأ ما تأمر به التوراة في قضيّة **الزّنا** وكيف تدخّل عبد الله بن سلام وكشف ذلك. كما أنّ الرسول كان حاداً في اتّهامهم بإخفاء الحقيقة حيث قال: لكنّكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تُبيّنوه للناس. "(١٤) . كذلك ما ذُكر من رفض اليهود إخبار سعد بن معاذ وآخرين عن بعض ما في التوراة، رغبوا في الاستفسار عنه، وفي ذلك نزل قوله تعالى: "إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" (١٥).

٣- مُناصرة أهل الشّرك ضدّ فريق من إخوانهم مُنافيا لما تأمر التوراة.

وقد كان اليهود في المدينة وتبعاً للأحلاف التي لهم مع قبائل

المدينة من أهل الشّرك يجدون أنفسهم إذا ما وقعت الحرب بين القبائل العربية مُنقسمين على أنفسهم، فريق يؤيّد الأوس وآخر يؤيّد الخزرج، يُظاهر كلّ واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم. فإذا وضعت الحربُ أوزارها افتدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة وأخذ به بعضهم من بعض. (١٦) وقد استعظم الرسول عملهم وأشارت إليه آيات القرآن حتى أنّ الله تعالى يستنكر عملهم ويسأل باستنكار: "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض". أي تُفاديه بحكم التوراة وتقتله، وفي حكم التوراة أن لا تفعل. (١٧).

٤- العمل على حَرف المؤمنين عن إيمانهم.

وهذه التهمة وُجّهت لليهود، حيث اتّهموا بأنّهم يعملون على إبعاد المسلمين عن الرسول والدين الجديد، ويُحرّضون المسلمين على العودة إلى الشّرك وعبادة الأوثان حتى أنّهم أجابوا مَن سألهم رأيهم في مَن أفضل دين محمد أم دين قريش دين الشّرك؟ فكان جوابهم أنّ دين قريش دين الشرك أفضل (١٨). ويستشهد صاحب السيرة لإثبات نشر اليهود للفساد بين المسلمين وبَذر بذور الشّقاق والنزاع ما فعله رجل يهوديّ بإثارة شباب من الأوس والخزرج حتى جعلهم يتنابذون ويُهدّدون بعضهم البعض الأمر الذي استدعى تدخّل الرسول وكبار الصحابة، وفي ذلك نزلت الآيات

القرانية : " يأيّهـا الذين آمنوا أن تُطيـعـوا فـريقـا من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين . . إلخ " (١٩).

٥- الإيمان بالجبت والطاغوث.

والجبت عند العرب ما عُبد من دون الله . والطاغوث كلّ ما أضلّ عن الحقّ. وقيل أيضا : الجبت تعني السّحر ، والطاغوث تعني الشـيطان . (٢٠) وخطورة هذه التّـهـمـة في أنّ مَن يملك الكتاب المقدس الأوّل لا ينفذ ما تدعو إليه التوراة ويُشرك في عبادته للرّب ، بل يضلّ في إيمانه إلى درجـة عـبـادة السّحر والشيطان. وهذا الموقف لليهود كما يُبيّن صاحب السيرة يعود إلى رغبـتهم الشديدة في رفض دين مـحـمـد والرغبة في محاربته بمختلف الوسائل ، حتى ولو أدّى بهم ذلك إلى إعلاء شأن دين الشـرك على الإسـلام ، أو الميل إلى عـبادة الشـيطان وتفضيله على اتّباع مـحـمـد ودينه الجديد . وقد ورد في قوله التعالى : " ألم تر إلى الذين أوتوا نصـيـبـاً من الكتـاب يؤمنون بالجبت والطاغوث " (٢١).

وإبن هشـام يستـشـهـد على عـادته بالعديد من الآيات القرآنية ليؤكد صحة ما ألصق باليهود من تهمة التحريف مثل قوله تعالى : " أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " (سورة البقرة، آية ٧٥). وقوله تعالى : " ألَم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب

يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل" (النساء ، ٤٤) "والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً" (النساء، ٤٥) " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع وراعنا" (النساء، ٤٦) . وقوله بما يتعلق بحادثة الرجم "ويحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه (أي الرجم) فاحذروا" (المائدة، ٤١).

كذلك يذكر إبن هشام ما روى عن موقف اليهود من عُزَيْر وهو يرى في موقفهم هذا ليس تحريفاً فقط وإنما ما يقرب من الكفر حيث يورد أن الرسول رأى في موقف اليهود من عُزير نوعاً من الكفر وأيضاً يؤكد كلامه بالإستشهاد بآية قرآنية: "وقالت اليهود عُزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قَبْلُ قاتلَهم الله أنّى يُؤفكون" (سورة التوبة، ٣٠).

الإتّهام بتحريف كلام الله في كل ما يتعلّق بنبوة محمد ﷺ

اجتهد إبن هشام في العديد من المواضع أن يبرز موقف اليهود المعارض والرافض لنبوة محمد مثل ذكره لقول رافع بن حريملة للرسول: "يا محمد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه" (٢٢). وقول عبد الله بن صوريا الأعور للرسول: "ما الهدى إلاّ ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد" (٢٣). وقول سكين وعدي بن زيد للرسول: "يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى" (٢٤). وكيف أن الرسول كان يؤكد لهم صدق نبوته وأنهم يعرفون صدق ما يقول لأن ذلك مذكور في التوراة، كقوله لجماعة منهم: "والله أنكم لتعرفون أنه من عند الله وأني لرسول الله تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة" (٢٥).

ويبين إبن هشام كيف أن اليهود كانوا ينكرون ما كانوا يبشرون به عن قرب ظهور نبي، وإذا ما ووجهوا بما قالوا هم، كانوا يجيبون: "ما قلنا لكم هذا قط، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده" (٢٦). أو أنهم يقولون: "انه ليس الذي قصدناه" (٢٧) وما شابه.

ويظهر إبن هشام كيف أن الرسول كان يؤكد لليهود أنه الذي بشروا به، وأنه الذي أشار إليه الله في التوراة والإنجيل،

وذكر في العديد من الآيات التوراتية. وكيف أنه أمام هذا الرفض القاطع لم يجد إلاّ اتهامهم بإخفاء الحقيقة، أو جهلها أو معرفتها والتنكر لها وتحريف كلام الرب.

وهكذا دارت المعركة الفكرية العنيفة بين الجانبين كما رسمها إبن هشام في تجميعه لمختلف الروايات والقصص، وعلى عادته في مواقف مختلفة يكثر إبن هشام الإستشهاد بآيات من القرآن الكريم لدعم ما أراد تأكيده من اتهام اليهود مثل قوله تعالى في الرد على المنكرين لنبوة محمد والجاحدين لها: " إن الذين كفروا- أي بما أنزل إليك - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون " (٢٨) (أي إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم، مما جاءهم به غيرك فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً وقد كفروا بما عندهم من علمك). وقوله تعالى: " ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون " (٢٩). (أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم). وقوله تعالى: " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " (٣٠). وقوله " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " (سورة البقرة، ٨٩).

ويأتي إبن هشام بما ذكر من رسالة الرسول إلى يهود خيبر

التي يدعوهم فيها إلى الإيمان بنُبوّته وقبول دعوته، حيث يقول لهم: "ألا أن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وأنكم لتجدون ذلك في كتابكم (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) وينهي رسالته بقوله: "فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم فأدعوكم إلى الله ونبيّه" (٢٨).

ما ورد في السيرة النبوية يُقدّم صورة صادقة لما وصل إليه التفكير الإسلامي، والتصوّر الكامل لشخصية الرسول وأعماله، الصورة النموذجية المثالية الكاملة التي لا تختلف في كثير أو قليل عن الصورة الكاملة للمسيح وموسى. فقد كان الذكاء لدى مدوني السيرة النبوية، وخاصة إبن هشام، أن عرفوا كيف يجمعون الروايات والقصص المتفرقة، وكيف يستشهدون بالشعر وبالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليسبغوا على كل قصة أو رواية طابع الصدق الذي لا يجرؤ أي مسلم مؤمن على الشك فيه أو مناقشته، فكل موقف للرسول وضّح وفُسّر، وكل عمل بُرّر، وكان الذكاء واضحاً في موقف الرسول من حربه لبني قريظة وما تبع ذلك من قتل الرجال وسبي النساء وأخذ الأموال، حيث اهتم إبن هشام أن يُؤكّد أن حرب بني قريظة تمّ بإرادة الرب وبتوجيهه حيث أن الملاك جبريل هو الذي نبّه الرسول لذلك وسبقه لزلزلة بيوتهم ودكّ حصونهم(٢٩)، وكأنّنا بان هشام شعر بهذا الموقف المُحرج للرسول، فبرّره بما أسبغ عليه من هذه الإرادة الربّانية،

كذلك موقف زواج الرسول من صفية بنت حيي قد لا يقبله العقل السليم، إذ كيف يقوم الرسول بعد قتله لوالدها وزوجها وأهلها بالزواج منها؟ لكن إبن هشام وجد التبرير بإظهاره بأن صفية كانت تُمنّي نفسها بالزواج من محمد ﷺ (٣٠) حتى قبل أن تسمع به وتراه، وأنّها تختلف عن غيرها بأنّها لم تبك أهلها (٣١) ولم تشعر بالحزن عليهم بل سارعت للموافقة على الزواج من الرسول وهي سعيدة فرحة.

لقد أصبحت السيرة تشكّل مصدراً مهمّا لدى مؤرخي التاريخ الإسلامي الأول، وكذلك أصبحت مصدراً مهماً لإثبات العديد من المواقف والأفكار التي أصبحت مجال جَدَل ونقاش في العصور اللاحقة، خاصة بما يتعلق بالعلاقة بين قريش والمسلمين، والعلاقة بين اليهود والرسول وكل ما تبع ذلك من اتّهامات.

ويمكننا اعتبار ما ورد في السيرة النبوية من اتهامات وتَسفيه لليهود كأول رد فعل إسلامي على تلك المواقف الحرجة التي وقفها المسلمون أمام النصارى واليهود بشكل خاص، نتيجة للإحتكاكات التي سبّبتها التوسّعات الإسلامية، وضمّها لشعوب عديدة كلها تخضع للخلافة الإسلامية، فقد زادت معرفة علماء المسلمين بما في الكتب المقدسة المسيحية واليهودية، ووقفوا على هذا التناقض بين ما ورد في القرآن وما ورد في التوراة والإنجيل، وكان عليهم أن يجدوا التبرير ويفسروا ذلك.

الإشارات

١ - ابن منظور - لسان العرب - الجزء التاسع - ص٤٣ .

٢- ابن هشام- السيرة النبوية ، جزء أوّل ، ص٣٣٠ .

٣- المصدر السابق- جزء أوّل ، ص٣٣٠

٤- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص١٥٣

٥- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص١٧٤

٦- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٠١

٧- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ١٩٩

٨- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص٤٧

٩- جواد علي- المفصل في تاريخ العرب، جزء ٦ ، ص٥٤٥

١٠- ابن هشام- السيرة النبوية جزء أوّل، ص ٣٣٠

١١- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص٢٠١

١٢- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٠٢

١٣- المصدر السابق - جزد ٢ ، ص ١٨٦

١٤- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٧١

١٥- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٠٠

١٦- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ١٨٨-١٨٩

١٧- المصدر السابق - جزء ٢ ، ص ١٨٩

١٨- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢١٠

١٩- المصدر السابق- جزء ٢، ص ٢٠٥
٢٠- المصدر السابق- جزء ٢، ص ٢١٠-٢١١
٢١- المصدر السابق- جزء ٢، ص ٢١٠
٢٢- ابن هشام - السيرة النبوية - جزء ٢، ص١٩٨ .
٢٣- المصدر السابق - ص ١٩٨ .
٢٤- المصدر السابق - ص ٢١١ .
٢٥- المصدر السابق - ص ٢١٩ .
٢٦- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص٢١٢ .
٢٧- المصدر السابق - الجزء الأول - ص ٢٦٢و٢٢٨ وغيرها كثير .
٢٨- القرآن الكريم- سورة البقرة، آية ٦
٢٩- القرآن الكريم- سورة البقرة، آية ٤٢
٣٠- القرآن الكريم - سورة البقرة، آية ٨٩
٣١- المصدر السابق - ص ١٩٣ .
٣٢- السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٢٤٤ .
٣٣- المصدر السابق - ص ٣١٥ ، و الطبرى - تاريخ الطبرى - الجزء الثالث - ص٩٤ .
٣٤- المصدر السابق - ص ٣٥٠-٣٥١ والطبرى ،الجزء ٣ - ص ٩٤ وابن سعد - كتاب الطبقات الجزء ٣- القسم الأول ص٨١ .

تطوّر الجدل الإسلامي اليهودي
ودخول عناصر جديدة عليه

تعتبر " السيرة النبويّة " لابن هشام المرجع الأساسي في دراسة سيرة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) والشاهد المهم على تلك العلاقة التي سادت بين الرسول والمسلمين من جهة، واليهود والمشركين من الجهة الثانية. ويُبيّن ابن هشام، من خلال الأخبار التي ينقلها، أنّ اليهود كانوا يطمعون في أن يكون النبي منهم وعاملاً بإرادتهم. وكانوا واثقين من ذلك، وهذا ظهر في عدة مواقف كانوا يُجاهرون بظهوره القريب وبأنّه سيكون عوناً لهم ضدّ خصومهم من القبائل العربية الأخرى.

لكنهم كما يذكر ابن هشام، رفضوا الدعوة وناصبوا الرسول العداء بعد ظهوره. وزاد هذا الرفض بعد أن قبل بعض اليهود الدين الجديد وآمنوا به، خاصة ما كان من إسلام عبد الله بن سلام ومُخيرق. عندها لم يجد الرسول أمامه من سبيل إلاّ المجاهرة بخصومة اليهود فكرياً ومادياً.

هذا الموقف العدائي للإسلام لم ينحصر في المواجهات الكلامية، وإنّما تَعدّاه إلى المواجهات الحربية في العديد من الغزوات التي قام بها الرسول والمسلمون ضدّ اليهود. واستمر بعد موت الرسول ليتشعّب إلى طرح العديد من القضايا التي

شغلت المفكّرين والفلاسفة وكتبت فيها الكتب.

من هذه القضايا التي ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية وعادت واستعرت من جديد ما بين مفكّري وعلماء المسلمين واليهود: ادّعاء **محبّة الله** لليهود وقضية **التّحريف والنسخ.**

وقد ظلّت تهمة التحريف والنسخ والإنكار للحقيقة هي التهمة الملازمة لليهود طوال عشرات ومئات السنين التي مرّت منذ وجهت إليهم أيام الرسول. وكثير ما جرّت هذه التهمة على اليهود المصائب والويلات.

صحيح أن بداية هذه التهمة كانت قديمة، ورافقت الجدل العنيف والحاد الذي صُوّر في السيرة النبوية، والذي كما صُوّر، دار بين الرسول وأحبار اليهود منذ هجرته إلى المدينة، وبرزت في الصدامات الكلامية بين الرسول وكبار الصحابة من جهة وبين أحبار اليهود في المدينة من الجهة الثانية، وقد اجتهد ابن هشام في السيرة النبوية أن يثبتها ويؤُكدها بالإستشهاد بالآيات القرآنية العديدة التي جمعها، حتى أصبحت سيرة ابن هشام تُشكّل مصدراً كبيراً ورئيسياً يستقي منه المهتمون بالحوارات الدينيةمعلوماتهم ومواد جدلهم ونقاشهم.

لكن الذي حدث بعد وفاة الرسول وانتصار الإسلام أن خمد صوت المعارضة ولم يعد لغير الإسلام مكانة خاصة، وقد كان

عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني، حازماً في خطواته لتثبيت الإسلام المحافظة على إبقاء بلاد العرب موحدة في الدين، فكانت قوانينه المشهورة بالنسبة لغير المسلمين، وكانت خطوته في ترحيل اليهود من بلاد العرب، اعتماداً على حديث نبوي نُسب للرسول يقول فيه "لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان". ومثل عمر، عمل الخلفاء الراشدون، وبعدهم الأمويون على إعلاء مكانة العرب والمسلمين، وبهذا منعوا أي صوت يبغي النيل من هذه السياسة الواضحة الحازمة. وقد ظلّت قوانين عمر الشديدة التي حرّمت على اليهود تعلّم القرآن أو الجدل مع المسلمين سارية إلى حد ما، كما أن ابتعاد اليهود عن مراكز الحضارة - في المدن - وانشغال القسم الكبير منهم بالزراعة أبعدهم عن مراكز الإهتمام وإثارة النقاشات طوال قرنين من الزمن، وهذه المدة تعتبر فترة سوداء في تاريخ اليهود كما يقول موشيه برلمان.

لكن هذا الإبتعاد عن مراكز الحضارة لم يدم إلى الأبد، وعادت مجموعات كبيرة من اليهود وغيرهم لتهجر الأعمال الزراعية وتتجه إلى المدن وتُقيم في أحيائها، ولتختلط بالسكان المسلمين، وتُشارك في مختلف النشاطات الثقافية، ومن ضمنها الحوارات الدينية المختلفة.

وكان من الطبيعي أن يؤدّي هذا الإختلاط إلى أن يعتنق العديد من اليهود والمسيحيين الدين الإسلامي، وإن يحدث

الإحتكاك بين مختلف الفئات ويشتدّ. وأن يكون للذين أسلموا من اليهود والمسيحيين دور كبير في نقل معلومات كبيرة وقيّمة عن العهدين القديم والجديد، وعن كثير من الأفكار والفلسفة المسيحيّة اليهودية ممّا كان لها أهميّتها في تَزويد العلماء المسلمين في الجدل الذي دار بين المسلمين واليهود والمسيحيين.

كان الإهتمام لدى علماء المسلمين موجهاً في البداية، بالإضافة إلى الفئات الإسلامية المختلفة، إلى المسيحيين. وأما اليهود فكان هؤلاء يكتفون بذكرهم والإشارة إليهم بمعلومات قليلة، وقد يعود سبب ذلك إلى عدد اليهود القليل في الإمبراطورية الإسلامية، بينما توجد مراكز تجمعات كبيرة من المسيحيين ومراكز حضارة كبيرة هم عصبها، أضف إلى ذلك وجود الإمبراطورية الرومانية المسيحية، والحضارات المسيحية التي كانت مراكزها في البلاد التي فتحها المسلمون، مثل مصر وسوريا.

أمّا الجدَل الديني الموجّه ضد اليهود والذي لم يُحْفَظ شيء منه، قبل القرن الحادي عشر، فقد نبع وتغذّى من مصادر وأصول مسيحية، منها ما قبل الإسلام ومنها حديثة ومعاصرة. وعاد وقويَ هذا الجدل في القرن الحادي عشر وما بعده، وذلك لأن الكثيرِين من المسيحين واليهود الذين اعتنقوا الإسلام ساعدوا على ذلك واجتهدوا فيه.

لقد اجتهد كبار الفلاسفة وحكماء اليهود مثل سعاديا סעדיה הגאון و يهودا هليفي والرمبام (موسى بن ميمون) أن يجيبوا بكتاباتهم على الإتهامات الموجّهة ضد اليهود، ولكنهم فعلوا ذلك بصورة رمزية وشفّافة، ونجد أنّ الرمبام منع اليهود من الدخول في جدل ديني ونقاشات مع المسلمين لما في ذلك من ضرر قد يعود على اليهود الذين يُشكِّلون أقليّة بين المسلمين.

هذا المنع والوعي لضرورات الواقع، أدّى إلى عدم قيام حكماء اليهود وفلاسفتهم بالكتابة ضد الإسلام، وكتب قليلة فقط كُتبت، أهمها كتاب نُسبَ إلى شموئيل هنجيد إسماعيل بن يوسف بن النغريلة الذي جمع الصفات العديدة، فإلى جانب مزاياه كرجل دولة وإدارة وقائد عسكري كان شاعراً وزعيماً للطائفة اليهودية.

وقد أثار هذا الكتاب الذي نُسب إلى شموئيل هنجيد وكاتبه حفيظة ابن حزم الذي يعتبر من أكبر فلاسفة الإسلام في القرن الحادي عشر، فكتب رداً عليه وهاجمه بشدّة وعنف.

صحيح أن هناك علماء مسلمين من قبل ابن حزم حملوا لواء الدفاع عن الإسلام، لكنّه كان المميّز والأكبر في القرن الحادي عشر، وقد عمل على كتابة العديد من الكتب في الرد والهجوم على اليهود والمسيحيين، حتى أنه من خلال كتابه الذي خصّصه للرد على شموئيل هنجيد أطلعنا على فصول هذا الكتاب المفقود

ومحتوياته. كما أنّه في كتابه الضخم " **كتاب الفَصل في الملل والأهواء والنّحل** " خصّص الفصول العديدة للحديث عن المسيحيين واليهود، وناقش العديد من القضايا المثيرة للجدل، مثل قضية حقيقة نصوص التوراة وما اتهم به اليهود من النسخ، وعُزَير وغيرها. وتدل هذه الفصول على سعة إطّلاع ابن حزم على التوراة والكتب اليهودية الأخرى.

وقد وزّع ابن حزم الفصول التي تناول فيها اليهود على النحو التالي:

١- الكلام على اليهود وعلى مَن أنكر التثليث من النصارى ومذهب الصابئين ومَن أقرّ بنبوّة زرادشت من المجوس وأنكر ما سواه.

٢- فصل في تناقضات ظاهرة في التوراة والإنجيل يتبيّن بها تحريفها.

٣- فصل في أنّ السامرة بأيديهم توراة غير التوراة التي مع سائر اليهود.

٤- الكلام في أنّ النصارى ما قالت مقالتها إلاّ تبعاً لما قالته اليهود في بعض أسفارها.

٥- الكلام في بيان فساد قول اليهود إنّ مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثون سنة.

٦- فصل الكلام على ما هو أشنع في شهرة الكذب وشنعة المحال

٧- في وصف قيام بني إسرائيل على موسى إلخ.
٨- في الكلام على ما ذكره من فصول التوراة التي هي سبعة وخمسون فصلا وما فيها من التحريفات.
٩- الكلام على أنّ التوراة لم تكن موجودة إلاّ في الهيكل عند الكاهن.
١٠- الكلام في ذكر طرف مما في سائر الكتب التي عندهم.
١١- الكلام في بيان ما اعترض به بعضهم والجواب عنه.
١٢- الكلام في بيان إقرارنا بالتوراة وغيرها من كتب الأنبياء.
١٣- الكلام في بيان خطأ مَن أنكر أنّ التوراة والإنجيل غير محرّفين.
١٤- الكلام في ذكر شيء من كلام أحبارهم.

ظلّ كتاب ابن حزم هذا وغيره من الكتب التي تناولت اليهود والنصارى، مجال اهتمام وبحث وتعليق المهتمين بالموضوع على مدار مئات السنين لما اتّسمت به هذه المؤلفات من العمق والشمولية والمعرفة بأدقّ المعلومات والقدرة على الوقوف عليها ومناقشتها.

وكما ذكرت سابقاً، فإن دخول العديد من علماء النصارى واليهود في الدين الإسلامي وفّر لعلماء الجدل الديني مادة غزيرة وأصيلة، ومعرفة بأدقّ التفاصيل ومن منبعها الأصلي، حيث أن هؤلاء الرجال تزعّموا حركة الجدل المدافعة عن الإسلام والمتّهمة

للنصارى واليهود، مستغلّين بذلك معرفتهم الواسعة للكتب السماوية "التوراة والإنجيل" .

وكان السموءل المغربي أبرز هؤلاء بكتابه الشهير "**إفحام اليهود**" وقد ناقش في كتابه هذا مواضيع حسّاسة ودقيقة كان لها أهميتها في الجدل الديني الذي أُثير واشتدّ مثل :

النّسخ ، وقد حاول إثبات أنّ اليهود نسخوا الكثير ممّا ورد في التوراة، وهو يأتي بالعديد من الأمثلة لدعم رأيه .

التأكيد على صدق نُبوّة المسيح ومحمد . إبطال ما يقوله اليهود حول محبّة الله لهم . إثبات كفر اليهود وتَحريفهم لما ورد في التوراة . الرّد على ما يقوله اليهود حول الإسلام . و تشديدهم الأصر على أنفسهم .

وظلّ كتاب "**إفحام اليهود**" لقرنين من الزمن يُعتبر المصدر الأول للجدَل مع اليهود، وقد اشتهر وأعيد نسخه أكثر من مرة لأهمية القضايا التي أثارها كاتبه، خاصة وهو اليهودي المطّلع على علوم دينه السابق، وقد يكون بالغ إلى حد ما في بعض الطروحات ليؤكد ما ذهب إليه من آراء. وقد كان السموءَل المغربي شديد القدرة على تناول قضايا تفصيلية ودقيقة تُبهر الجاهل وتُحرج العارف، ويضعها تحت مجهره النقدي اللاّذع، فلا يترك للخصم المجال للرد .

ما بين سيرة ابن هشام وإفحام اليهود للسموأل المغربي

هل اطّلع السموأل المغربي على السيرة النبوية؟ وإلى أي مدى؟

يجب قبل الشروع في الجواب على هذا السؤال، تحديد القضايا المشتركة التي طُرحت في كل من "السيرة النبوية" لابن هشام وكتاب "إفحام اليهود" للسموءل المغربي.

لقد طرح ابن هشام العديد من القضايا المهمة التي كان لها أثرها في تحديد العلاقات بين المسلمين واليهود، وكذلك فعل السموءل المغربي في كتابه.

وحتى يكون كلامنا محدداً أكثر، نطرح القضايا المشتركة التي عرضها الإثنان وهي:

محبة الله لليهود وتفضيلهم على غيرهم من الأمم:

لا ينكر أحد أن الله في كتابه المقدّس "التوراة" خاطب اليهود بما يدل على محبته لهم حيث تكررت مخاطبته لهم بكلمات مثل: شعبي المختار، " בנים אתם ליהוה אלהיכם" "כי עם קדוש אתה ליהוה אלהיך ובכך בחר יהוה לו לעם סגלה מכל העמים אשר על פני האדמה" (1).(דברים. יד.2.1) "أنتم أولاد للربّ إلهكم. لأنّك شعب مقدّس للربّ إلهكَ وقد اختارك الربّ لكي تكون له شعباً خاصّاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه

الأرض" (التثنية، الإصحاح الرابع عشر، آية ١و٢).

وقد جاءت آيات القرآن لتؤكّد هذا التميّز للشعب اليهودي عند الله، مثل قوله تعالى: "يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنّي فضلتكم على العالمين" (٢)، وقوله "ولقد أتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على العالمين" (٣).

لكننا رأينا كيف أن ابن هشام، وفي أكثر من موضع حاول أن يُبطل هذا الحب، ويظهر ابتعاد الرب عن اليهود، وحتى الحضّ على قتلهم، مثل قوله: إنّ الوحي جاء للرسول وحذّره من أمر زعماء بني النضير عليه لقتله (٤)، ومثل قوله: أن الملاك جبريل نبّهه إلى وجوب التوجّه إلى بني قريظة بعد غزوة الخندق لقتالهم، وكيف أن جبريل أسرع قبل وصول الرسول ﷺ والمسلمين إلى بني قريظة ليزلزل بيوتهم عليهم(٥)، واستشهاده بالعديد من الآيات القرآنية ليؤكد ابتعاد الرب عنهم ورفضه لهم مثل قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء.. إلخ" (٦).

وقد تناول السموءل المغربي مسألة محبّة الله لليهود واجتهد أن يؤكد بطلانها، ورفض من البداية هذا القول وقال: "يزعمون أن الله تعالى يحبهم دون جميع الناس" (٧) وأخذ يبرهن على صحّة موقفه بعدّة أمثلة، كذكره للنبي أيوب، كإثبات على أن الله قد يختار أنبياء من غير اليهود(٨)، وذكره لما كان من شأن

التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم يربعام بن نباط وصنع لهم الكبشين من الذهب وغضب الرب عليهم (٩) ، ثم استشهاده بنص من التوراة يؤكد مساواة الرب بين جميع المؤمنين وأنّه يحب المؤمنين من جميع الطوائف ولا يحب الضّالين أيّاً كانوا(١٠). وفي ذلك كلّه إثبات لعدم تفضيل الرب لليهود على غيرهم، بل معاملتهم كغيرهم من الناس على حدّ سواء.

ويبدو من مراجعة ما ورد في السيرة النبوية وكتاب إفحام اليهود، أن السموءل، وإن انتبه إلى هذه القضية التي أثارها ابن هشام، إلاّ أنه اهتم أن يعتمد على نصوص توراتية ليُثبت موقفه، ليكون كلامه إكثر إفحاماً وإقناعاً، ولكننا نلاحظ عدم توسعه في هذه النقطة، وقد يعود سبب ذلك إلى شعوره بالحرج وعدم الإقتناع بما يدّعيه، خاصة والآيات القرآنية العديدة تشير إلى حب الرب لهم وتفضيلهم على غيرهم، وقد تكون المواقف المتكررة في التوراة والمؤكدة على حب الرب وتفضيله رغم كل المواقف المغايرة، هي المحرجة للسموءل وجعله لا يتوسع في ذلك.

لكن المهم أن السموءل لم يستشهد بأي موقف من التي ذكرها ابن هشام في السيرة، والتي أبرز فيها موقف الرب الرافض لهم والداعي لحربهم والإنتقام منهم، وقد يكون السموءل قد قصد عدم ذكر هذه المواقف لتكون حجته أقوى باستشهاده بنصوص توراتية.

ويجتهد السموءل ليُثبت أنّ رفضَ الرب لليهود يظهر في العذاب الذي كان من نصيبهم، وما قاسوه من ويلات بعد ذهاب دولتهم وتفرّق شملهم، وهو يأتي بالعديد من الأقوال الدّالة على شقاء اليــهــود وتوسّلهم إلى الرب ليــرأف بهم وينقــذهم من ذلّهم(١١).

حقيقة نُبوّة محمد ﷺ:

ذكرت في مكان سابق كيف اهتم ابن هشام أن يرسم لنا ذلك الموقف السلبي الذي اتخـذه اليـهـود من الرسـول ودعـوته، وكيف كانت مفاجأة محمد لذلك، خاصة، وكان قد اهتم أن يقيم علاقات جوار وتعاون حسنة بين المسلمين واليهود بعد هجرته إلى المدينة.

وأن الموقف المتصلب لليهود في رفضهم لنبوة محمد ﷺ كان غير منطقي ولا تدعمه الأسانيد، وقد حاول ابن هشام إثبات ذلك من خلال الأمـثلة العـديدة والروايات التي تدل كلهـا على معرفة اليـهـود بصـدق دعـوة مـحـمـد وأنهم انتظروا ظهوره، مثل إيراده لما رواه حسان بن ثابت: "والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك، ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به" (١٢). وذكره لقصة اليهودي جار بني الأشهل الذي أكد بعث

النبي من مكة وأنه سيظهر قريباً(١٣). وما ذكره عن ابن الهيبان ونصيحته لليهود قبل موته بأن نبيّاً سيظهر وعليهم اتّباعه، (١٤) وروايته لقصة إسلام عبد الله بن سلام الذي قال: "لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكّف فكنت مُسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله المدينة" (١٥). وغير ذلك من الروايات والقصص التي يوردها.

ولم يورد ابن هشام أيّ نصّ توراتي يُثبت به ما رواه من قصص حول معرفة اليهود بحقيقة نبوّة محمد وبوجوب إيمانهم به مما أضعف موقفه، لكنه حاول تعويض هذا النقص بكثرة الروايات التي ذكرها حول اعتراف العديد منهم بأنه النبي الموعود، وبالكثير من الحوارات ما بين أحبار اليهود من جهة والرسول وبعض المسلمين من جهة ثانية، مثل قول الرسول لبني قينقاع بعد بدر: "يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم" (١٦) ومثل ذكر ابن هشام لدخول الرسول على اليهود في بيت المدارس ودعوته لهم للإيمان به(١٧).

واهتم ابن هشام أن يظهر موقف اليهود الرافض لنبوة محمد، وكأنه موقف متعنّت لا يعتمد على أساس أو منطق، وأنه فقط من منطلق المكابرة والمعاندة وعدم الإعتراف بالحقيقة التي يدركونها. وأيضاً في هذه النقطة لم يعتمد على نص توراتي وإنما

اهتم بذكر العديد من القصص مثل ما نسب إلى صفية بنت حيي حيث قالت انها سمعت عمها أبا ياسر وهو يقول لأبيها حيي بن أخطب: "أهو هو؟ فأجاب أبوها: نعم والله. فقال عمها: أتعرفه وتُثبّته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ فأجاب حيي: عداوته والله ما بقيت" (١٨).

ومثل اهتمامه بذكر العديد من القصص والروايات، اهتم كذلك بأن يأتي بالعديد من الآيات القرآنية لتؤكد معرفة اليهود بصدق نبوّة محمد ولكنهم يكابرون ويرفضون الإعتراف بالحقيقة، مثل قوله تعالى: "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين" (١٩) وغير ذلك كثير.

كذلك أظهر ابن هشام نقطة مهمة وهي أن رفض اليهود للإعتراف بنبوة محمد لها سبب آخر وهو رفضهم للقبول بنبوّة في غير اليهود، كما ذكر في قول بعض أحبار اليهود لعبد الله بن سلام حين أسلم "ما تكونُ النبوّة في العرب" (٢٠).

ومثل ابن هشام هكذا اهتم السموءل المغربي بهذه القضية، ولكنه ومن منطلق كونه في السابق يهودياً عارفاً للدين اليهودي، اعتمد في جدله وحواره حول هذه النقطة على نصوص توراتية.

والسموءل لا يختصر حديثه حول إثبات حقيقة النبي محمد وتأكيد النص التوراتي لذلك، ولكنه يهتم أيضاً بتثبيت

حقيقة نبوّة المسيح وأنه الذي أشارت إليه التوراة أيضاً (٢١).

وقد ركّز السموءل حديثه لإثبات نبوة محمد على الأسس نفسها التي يعتمدها اليهود في تصديقهم لنبوّة موسى كما يقول مثل :

التواتر(٢٢) :

فالسموءل يظهر أن اليهود في تصديقهم لنبوة موسى يعتمدون على ما وصلهم من أخبار أسلافهم بالتواتر، عن معجزات موسى وإذا كان ذلك صحيحاً بالنسبة لموسى فإنه صحيح بالنسبة لمحمد أيضاً، لأنه يرى أن تواتر الشهادات بنبوة عيسى ومحمد، لأن شهادة المسلمين والنصارى بنبوة موسى ليست إلاّ بسبب أن كتابيهما شهدا له بذلك فتصديقهم بنبوة موسى فرع من تصديقهم بكتابيهم " على حد تعبير السموءل(٢٣).

المعجزات :

قال السموءل " ان اليهود عرفوا نبوة موسى بما عمله من المعجزات، التي سمعوا بها ولم يروها، وهو يستغرب ذلك منهم ويقول إن معجزات الأنبياء يجب أن تظل باقية بعدهم ليراها كل جيل فيؤمن بها (٢٤). أما إذا وافق معهم بأن هذا ليس بالأمر الواجب لأنه إذا اشتهر نبي في عصر وصحت نبوته في ذلك العصر بالمعجزات التي ظهرت منه لأهل عصره ووصل خبره إلى أهل عصر آخر وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه "(٢٤) كما يقول،

وإذا كـان الأمـر كـذلك فـإن هذا صـحـيح أيضـاً بالنسـبـة لعـيـسى ومحمد، وأن أفـضليـة مـحـمـد واضـحـة في أن مـعـجـزته، وهي القرآن، باقية شاهدة على صدق النبوة التي ليست بحاجة للإعتماد على الخبر (٢٥).

شهادة الأمم:

يظهر السموءل أن اليهود يعتمدون في إثبات نبوة موسى وأفضليته على شهادة جميع الأمم بذلك (٢٦)، وهو يدحض هذا القول ويؤكد أن محمد يتفوق على موسى بذلك، والسبب أن هذه الأمم التي يستشهدون بها تكفرهم وعليه فلا يبق لهم إلاّ التواتر من طائفتهم وهي أقل الطوائف عـددا وعندها فـسـيكون تواترهـم وشرعهم أضـعف (٢٦). وسـيكون تقـدم مـحـمـد عليـه بارزاً وواضحاً.

كـذلك يذكـر السـموءل قـول اليهـود بأن الله علّم مـوسى الأسماء وبهذا يفضل غيره مثل عيسى الذي تعلمها من حيطان بيت المقدس (٢٧).

أما الإعتماد الأساسي للسموءل في جدله وإثباته لصدق نبوة محمد فهو في اعتماده على نصوص توراتية يراها تشير إلى نبوة محمد وينكرها اليهود.

ما جاء في التوراة يدل على نبوة محمد ﷺ:

ويأتي السـمـوءل بالعـديد من الآيات التي وردت في التـوراة

وتشير إلى صدق نبوة محمد مثل (٢٨) "נביא אקים להם מקרב אחיהם כמוך אליו ישמעון" .

ويؤكد بأن المقصود بهذا الكلام هو محمد. ويتوسع في رفض ما يقوله اليهود بأن المقصود بهذا الكلام شموئيل النبي (٢٩)، كذلك يأتي بالآية: ולישמעאל שמעתיך הנה ברכתי אותו והפריתי אותו והרביתי אותו במאד מאד (בראשית, יז 20). " وأمّا إسمعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أباركه وأثمرُه وأكثره كثيراً جداً" (التكوين، الإصحاح ١٧، آية ٢٠) . وأنه قصد (٣٠) במאד מאד النبي محمد (٣١) لأن حساب حروفها كان مساوياً لحساب حروف محمد، وأيضاً هنا يتوسع في إثبات صدق ما يدعي بأن لا مثيل لهذه الآية في التوراة. كذلك يستشهد بآية أخرى (٣٢): ואמר אדני אתגלי וזהור יקרה משעיר אתחזי לנא אתגלי בגברתה מטורא דפארן ועמה רבון קדישין. ويؤكد أن المقصود بجبل فاران هو جبل مكة. وكذلك يذكر الآية(٣٣) : וישב במדבר פארן ותקח לו אמו אשה מארץ מצרים. (בראשית, כא 21) " وسكن في بريّة فاران . وأخذت له أمّه زوجة من أرض مصر" (التكوين، الإصحاح ٢١، آية ٢١) التي تؤكد صدق ما يدعيه بالنسبة لفاران وأنها مكة (٣٤) وهذا دليل على أن التوراة ذكرت محمداً وتصدق على نبوته. فقد ثبت "كما يقول السموءل" في التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل، وإذا كانت التوراة قد

أشارت إلى نبوة ما، تنزل على جبل فاران، لزم أن تلك النبوة على آل اسماعيل لأنهم سكان فاران، وأن المقصود بالنبوة من ولد إسماعيل هو محمد، وأنه بعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل (٣٥).

النسخ والجدل الحادّ:

من القضايا المهمة التي ذكرها ابن هشام، وكانت موضع صدام وجدل بين المسلمين واليهود أيام الرسول (صلعم)، ما كان يتهم به اليهود محمداً من تغيير وتبديل أمور كان قد صرّح بها أو فرضها على المسلمين. مثل قضية تَغيير **القِبْلَة** من القدس إلى مكّة، وقضية صوم **يوم عاشوراء**، وتقديس **يوم الجمعة** وما شابه، فقد كان اليهود يسخرون من الرسول ويُشكّكون في صدق نبوّته ويقولون إنّ محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهي عنه غداً(٣٦). وقد نزلت الآيات القرآنية العديدة التي تُفسّر سبب هذا التغيير، وأنه أمر ربّاني مثل قوله تعالى: "ما نسخ من أية أو نُنْسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير (٣٧).

والنسخ كما يقول ابن منظور في لسان العرب يعني: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، وتبديل الشيء من الشيء وهو غيره (٣٨). ويرى الغزالي أن النسخ يعني - رفعاً للأمر، أي لحكم الإمر ومدلوله، وأن حقيقة النسخ الرفع والتبديل(٣٩). ويأتي الأشعري بعدّة آراء حول مفهوم كلمة النسخ فيقول ان بعضهم

يقول أن المنسوخ هو ما رفعت تلاوة تنزيله وترك العمل بحكم تأويله فلا يترك لتنزيله ذكر يُتلى في القرآن ولا لتأويله أنه يعمل به في الأحكام. وقال آخرون: إن النسخ لا يقع في القرآن، وتلي وحكم بتأويله النبي، ولكن النسخ ما أنزل الله به على هذه الأمة في حكمة التفسير إلخ(٤٠). كذلك يأتي ابن كثير في تفسيره للقرآن بالعديد من الآراء حول مدلول كلمة النسخ(٤١).

وقد شغلت قضية النسخ معظم العلماء المسلمين لما أثير حولها من ضجّة، خاصة فيما يتعلق ببعض الأحكام التي فرضت على المسلمين ثم غيّرت أو بعض الآيات التي نُسخت.

وقد ورد في القرآن العديد من الآيات التي تتناول هذه القضية وتحلّ الغامض منها، مثل قوله تعالى: "وإذا بدّلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون" (٤٢) وقوله "سنقرئك فلا تنسى، إلا ما شاء الله أنه يعلم الجهر وما يخفى" (٤٣) وقوله "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيّته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يحكم الله آياته، والله عليكم حكيم" (٤٤).

السموءل المغربي وتُهمة النسخ

شغلت قضية النسخ حيّزاً كبيراً من اهتمام السموءل المغربي في كتابه "إفحام اليهود" وقد يكون السموءل قصد بهذا التركيز ردّ اتّهام اليهود للمسلمين بهذه التهمة، ومن ثم إثبات حقيقة يتقبّلها العقل، ولا عيب فيها، وهي أن النسخ لبعض الأحكام والأمور دلالة على الحكمة الربانيّة التي كانت ترى الحاجة إلى التغيير والتّبديل لبعض الأحكام حسبما تراه لازماً تبعاً للزمان والمكان كما رأينا ذلك واضحاً في الآيات القرآنية التي ذكرناها.

صحيح أنّ مثل تقبّل هذا الرأي يعني رفض أزليّة الأحكام الرّبانية والقبول بأنّ إمكانية التغيير والتبديل عند الرب قائمة ليس فقط في بعض الأحكام وإنما في الأديان أيضاً، لكن حتى لا ننساق وراء هذه الأمور التي لا نهاية للبحث فيها نتركز في مواقف السموءل المغربي من هذه القضية والتي تتلخص في الأمور التالية:

التزام اليهود بالنسخ

وهو يُثبت ذلك بذكره لبعض الشرائع التي كان معمولاً بها منذ الأيام التي سبقت نزول التوراة، كذلك منذ عهد ابراهيم(٤٥)، وأن هذه الشرائع زيد عليها فيما بعد وغيّر بعضها مثل تقديس السبت وتحريم الأعمال فيه(٤٦). بينما لم يكن ذلك قبل

نزول التوراة، وإذا كان هذا صحيحاً بالنسبة للسبت فما يمنع أن يظهر نبي يحمل رسالة تأتي بنسخ كثير من أحكام الشريعة التي كانت، وماذا يمنع أن يأمر الله أمة بشريعة ثم ينهي أمّة أخرى عنها، ويحرم محظوراً على قوم ويحلّه لأولادهم ثم يحظره ثانياً على من يجيء من بعدهم(٤٧).

أسئلة تثير العقل بمنطقها يطرحها السموءل ليؤكد أن النسخ معقول، وأنّ نبوّة محمد صادقة وعلى كلّ يهودي تَقَبّلها.

ثم ينتقل إلى جانب آخر لإثبات النسخ عند اليهود حيث يركّز حديثه على النجاسة، حيث أقرّت التوراة أنّ مَن مسّ عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير نجساً، وأن المخرج الوحيد من النجاسة يكون فقط برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها. ويبيّن أن اليهود ابتعدوا عن هذا المنع وتسامحوا فيه وحجتهم انعدام أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام المطهر المستغفر. وإقرارهم بهذا يعني قبولهم بمبدأ النسخ الذي ينكرونه(٤٨). كذلك يأتي بذكر مسّ اعتزال الحائض(٤٩) وغيره من الأمور التي اختلف فيها الرأي. وبزيادتهم في صلواتهم(٥٠) عمّا كان عليه الأمر أيام موسى ومثل صوم إحراق بيت المقدس، وصوم حصارة وصوم كدليا(٥١) وغيرها.

كل هذه الزيادات يأتي بها السموءل ليثبت وجود النسخ والعمل به عند اليهود، ويأتي بإثبات أكثر إقناعاً على النسخ بذكره

تفضيل الربّ للبُكور من بني إسرائيل، ولكن الذي حدث، أن الرب عزل البكور وفضّل عليهم اللاويّين، لأنهم عبدوا العجل ولم يستجيبوا لنداء موسى عندما جاءهم بالألواح، بينما استجاب إليه أبناء ليوي. وعَزل الأبكار عن ولاية الإختصاص وأخذ أولاد ليوي عوضاً عنهم، ليس إلاّ نسخاً(٥٢).

لم يُشر السموءل خلال كل حديثه إلى موقف اليهود الساخر والمتهم للمسلمين بخصوص النسخ والتّبديل لبعض الأحكام كما برز ذلك في السيرة النبوية، وقد يكون السموءل قصد هذا التجاهل كما فعل في القضايا الأخرى التي عالجها، وقد يكون اتخذ منهجاً واضحاً يرتكز فيه على إثبات التهم التي اتّهم بها اليهود غيرهم وخاصة المسلمين، عليهم. فهو بإثبات تهمة النسخ على اليهود بالإستدلال بالنصوص التوراتية والحقائق الدامغة التي لا يستطيع إنكارها أحد منهم، يكون عملياً قد وصّل إلى غايته وهي الدفاع عن المسلمين وإفحام الخصم.

وكما ذكرت فإن موقف السموءل المغربي من قضية النسخ لم يكن موقفاً رافضاً وإنّما موقفاً عقلانياً تحليلياً واعياً، مبرزاً نواحي المنطق في وجود النسخ، ولهذا فهو في إثبات النسخ عند اليهود وفي التوراة لم يهدف إلى الحط من مكانة اليهود ودينهم، وإنما على العكس، أراد إثبات حقيقة لم ينكرها في الإسلام، وإنّما قبلها وبيّن فضائلها وأهميتها. وكما رأينا فإن هذا الموقف غير

الرافض للنسخ قَبِلَ به العديد من العلماء المسلمين ووضّحت امكانيته ومصداقيته العديد من الآيات القرآنية -والجدل الذي دار بين العلماء المسلمين، هو حول مفهوم كلمة النسخ، وهل النسخ قائم في القرآن أم في الحديث، وهل السنة تنسخ القرآن أو القرآن ينسخ السنّة، أو القرآن ينسخ القرآن، وما شابه من هذه المسائل التي عرضها الأشعري في كتابه القيِّم "مقالات الإسلاميين" (٥٣).

التّحريف والتّساؤل حول حقيقة نصّ التوراة

كانت تهمة التحريف التّهمة الأساسية التي ركّز عليها ابن هشام في عرضه للجدل بين المسلمين واليهود، وذلك في كثرة الروايات والأحاديث والآيات القرآنية التي ذكرها.

ورأينا كيف أن تهمة التحريف أول ما برزت في هذا الإستغراب الكبير للرسول من موقف اليهود الرافض لنبوته وبشكل مثير للفكر، خاصة وقد اعتقد أنهم سيكونون أوّل مَن سيتقبّل دعوته ويؤازره. لما اعتقد من تبشير التوراة به، ولما ورد من قصص على ألسنتهم كلها تبشّر بظهور النبي.

وكما قال بروكلمان "فإن معارضة اليهود لتعاليمه حملته على أن يستنتج أنهم قد ضلّوا عن طريق الإيمان الصحيح، وأنهم قد حرّفوا الكتاب المقدّس الذي اعتقد هو نفسه بأنه منزل من عند الله" (٥٤).

وهذه التهمة ظلّت تلاحق اليهود، والكثير من العلماء الذين شاركوا في الجدل الديني وجّهوا هذه التهمة لليهود، وكان أبرز هؤلاء ابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" حيث اجتهد في العديد من الفصول إثبات أن التوراة ليست نصاً إلهياً، وإنما هي من وضع إنسان قصد كتابتها على ما هي عليه، ويقول "إن التوراة لم تكن من أول دولة اليهود إلى انقضائها إلاّ

عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكل فقط وأما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط وأن نبوخذ نصّر قد أسر آخر ملوك اليهود متينا بن يوشيا الذي حكم إحدى عشرة سنة وأن نبوخذ نصّر هدم البيت والمدينة واستأصل جميع بني إسرائيل وأخلى البلد منهم وحملهم مسبيّين إلى بابل " (٥٥) . ويتابع ابن حزم قوله في إنكار حقيقة النص التوراتي بقوله " إن عزرا الورّاق الهاروني هو الذي أملاها عليهم وأنّهم أقرّوا أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه " (٥٦). ويقول " إن كتابة عزرا للتوراة كان بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس " (٥٧). ولكنه يقول : " إنّ كتبهم تدلّ على أنّ عزرا لم يكتبها لهم ويصلحها إلاّ بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً التي كانوا فيها خالين ولم يكن فيهم حينئذ نبي " (٥٨) . ويقول " ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونُسخت وظهرت ظهوراً ضعيفاً أيضاً " (٥٩) . ويقول " أنه بعد مائتين من السنين وبعد تولي قوم من بني هارون أمرهم وانتشرت نسخ التوراة التي بأيديهم اليوم وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلاً من القرابين وعملوا لهم ديناً جديداً ورتّبوا لهم الكنائس في كل قرية " (٦٠).

وبعد الكلام الموسّع والمفصّل يصل ابن حزم إلى اقتناع ونتيجة مفادها " أن كتاب التوراة مبدّل مكذوب موضوع ودين

معمول خلاف الدين الذي يُقرّون أن موسى أتاهم به. (٦١).
كذلك يذكر ابن حزم أن التوراة التي ترجمها السبعون شيخاً لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة وفشوها كانت مخالفة للتي كتبها لهم عزرا الورّاق" (٦٢). وكما فعل ابن هشام في السيرة النبوية، فعل ابن حزم، حيث استشهد بالعديد من الآيات القرآنية التي تؤكد تحريف اليهود للتوراة(٦٣)، وبأن التوراة الحقيقية هي التي قصدها الرب في كتابه والتي آمن بها محمد وكل الأنبياء.

ويدل كلام ابن حزم الموسّع، والذي يشغل حيّزاً كبيراً من كتابه ويتوزّع على عدّة فصول ويثبته بذكر العديد من المصادر، على سعة اطّلاعه ومعرفته العميقة لما تحويه الكتب المقدسة وما يتعلّق بها، وعلى قدرته على الإلمام بالموضوع ومناقشته بهذا الأسلوب المنطقي. لكن هذا كله لا يخفي ما ظهر من تحامل ابن حزم على اليهود، وما قصده من إثبات التهم التي قررها من البداية في اليهود خاصة تهمة التحريف وتبديل الكتاب المقدّس، وتهمة الكفر والإبتعاد عن سبيل الرب وعقاب الرب لهم على ذلك والتّأكيد على صدق نبوّة محمد، وأن موقف اليهود الرافض للنبوة لم يكن إلاّ موقفاً مُكابراً رافضاً الإعتراف بالحقيقة الربانية والتي أقرّت بها الكتب المقدّسة والتوراة بشكل خاص.

وقد ظلّ كتاب ابن حزم هذا وغيره من الكتب التي تناولت اليهود والنصارى مجال اهتمام وبحث وتعليق المهتمين بالموضوع

على مدار مئات السنين، لما اتّسمت به هذه المؤلفات من العمق والشمولية والمعرفة بأدقّ المعلومات والقدرة على الوقوف عليها ومناقشتها.

السموءل المغربي وتُهمة التّحريف

كان السموءل المغربي واضحاً وقاطعاً في اتهامه لليهود بتحريف التوراة وبأنها ليست النص الحقيقي، فهو من البداية يؤكد "أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المُنزلة على موسى" (٦٤).

ويشرح السموءل قوله هذا على النحو التالي:

أولاً: أن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يشهرها بينهم.

ثانياً: أن موسى سلّم التوراة إلى عشيرته أولاد ليوي وذلك باستشهاده بالآية: ויכתב משה את התורה הזאת ויתנה אל הכהנים בני לוי.(דברים,לא 9) "وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهنة بني لاوي" (التثنية، الإصحاح٣١، آية ٩)

ثالثاً: أن موسى علّم بني إسرائيل نصف سورة فقط يُقال لها "هاآزينو" وذلك باستشهاده بما ورد من نص في التوراة: "ויכתב משה את השירה הזאת ביום ההוא וילמדה את בני ישראל".(דברים, לא22) " فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم وعلّم بني إسرائيل إيّاه" (التثنية، الإصحاح ٣١، آية ٢٢)

رابعاً: أن الأئمة الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بخت نصر(نبوخذنصّر) يوم فتح بيت

المقدس .

خامساً : أن أحداً من الهارونيين لم يحفظ جميع فصول التوراة وإنّما كان الواحد منهم يحفظ فصلاً واحداً .

سادساً : ما أصاب اليهود على يد الشعوب التي حاربتهم وقهرتهم مثل الكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى والمسلمين ، من حرق بلادهم وأخرابها وإحراق كتبهم المقدّسة .

سابعاً : أن ما أصابهم من ملوكهم العصاة مثل أحاب وأحزيا وأمصيا ويهورام ويربعام بن نباط وغيرهم من قتلهم للأنبياء وعبادتهم للأصنام وابتناء البيع والهياكل لعبادتها من قبل كل الشعب أشدّ ممّا أصابهم من أعدائهم .

ثامناً : منع الفرس لليهود عن الختانة وعن الصلاة مما دفع باليهود إلى اختراع أدعية مزجوا بها فصولاً من صلاتهم وسمّوها " **الحزانة** " وصاغوا لها ألحاناً عديدة . وقد صارت هذه **الحزانة** عند اليهود من السنن المستحبّة في الأعياد والمواسم والأفراح يجعلونها عوضاً عن الصلاة ويستغنون بها عنها .

وبهذه الحجج القوية أراد السموءل أن يصل إلى النتيجة الحتميّة التي فرضها من البداية و هي أنّ النص التوراتي الذي بين أيدي اليهود ليس النص الأصلي الذي أنزله الرّب ، وإنما حدث فيه تحريف كبير نتيجة لكل الأمور التي عرضها السموءل ، وذكرتها أعلاه . صحيح أن السموءل كان غير أمين في ذكره للآية التي

أوردها من التوراة وذكر قسماً منها وهو : ויכתב משה את התורה הזאת ויתנה אל הכהנים בני לוי. (דברים, לא 9) " وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهنة بني لاوي " (التثنية، الإصحاح ٣١، آية ٩) . وحذف عن قصد تتمة الآية وهي : ואל כל זקני ישראל. " ولجميع شيوخ إسرائيل " (التثنية، الإصحاح ٣١، آية ٩) حتّى يُثبت صحّة ما ادّعاه من عدم معرفة بني إسرائيل للنص التوراتي وانحصاره متفرقاً إلى فصول بين أبناء ليوي فقط .

كذلك في تركيزه على نصف السورة التي عُرِفت باسم " هاآزينو " وأنها فقط التي حفظت لبني إسرائيل نراه لا يختلف عن ابن حزم الذي تلقّف هذا النص وراح يركّز عليه اتهاماته لليهود ونفيه لحقيقة نص التوراة .

كما نرى الإتفاق بين السموءل وابن حزم في الإبراز لدور الملوك اليهود العصاة الذين ساهموا في كفر الشعب وضياع التوراة(٦٥) .

ومثل ابن حزم نرى السموءل ينسب التوراة الحالية إلى عزرا(٦٦) الذي كما يقول السموءل : رأى أن القوم أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرّق جمعهم ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفّق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن(٦٧) .

ويرى أن عمل عزرا هذا ما جعل اليهود يبالغون في تعظيم

عزرا والزعم أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم(٦٨).

ويقف السموءل موقفاً سلبياً من عزرا ويصفه برجل فارغ وجاهل بالصفات الإلهية، لأنه كما يقول: نسب إلى الله صفات التجسيم والندامة على ما مضي من أفعاله والإقلاع عن مثلها(٦٩).

ويذكر السموءل في مكان آخر عزرا بقوله "وكان هذا عزرا خادماً لملك الفرس حظّياً لديه، فتوصّل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم "لليهود" هذه التوراة التي بأيديهم" (٧٠).

ويفسّر سبب بعض التحريف الذي في التوراة بقوله:
"فلمّا كان "عزرا" هارونياً كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود. أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة تامار" (٧١).

ويهتم السموءل بتأكيد أن عزرا هذا الذي ينسب إليه كتابة التوراة التي بين يدي اليهود ليس هو العزير، كما يظن، ويفسر قوله، بأن كلمة العُزير تعريب كلمة العازار فأما عزرا فإنّه إذا عرّب لم يتغير عن حاله، لأنه اسم خفيف الحركات والحروف، ولأن عزرا عندهم ليس بنبي وإنما يسمّونه عزرا هسوفير وتفسيره "الناسخ" (٧٢).

وكلام السموءل هذا ليس دقيقاً، إذ أن كلمة العزير هي

حقاً تصغير كلمة العزار حيث أن التصغير يكون بحذف أل التعريف والألف من الكلمة فتبقى عزار اسم رباعي فيصغّر على صورة عُزير وبإضافة أل التعريف والألف يصبح الإسم ألعازار .

لكن كلام السموءل بالنسبة لإسم عزير غير دقيق إذ أن عُزَير تصغير كلمة عزرا أيضاً ، إذ أن كلمة عزرا من عزر بدون الألف مثل كلمة سلمى فتصغّر على شكل سليمى وهذا صحيح أيضاً بالنسبة لعزرا فتصغيرها عزير ويكون عزرا وعزير واحداً .

وبالنسبة لعُزَير ففي دائرة المعارف الإسلامية يذكر أن الله غضب على اليهود بعد عهد النبي موسى ، لما اقترفوا من ذنوب ، فأذهب عنهم نصّ التوراة ، وفقط ظلّ عُزَير وحده بين اليهود يعبد الرب . وإذ رأى عزير ما حلّ بشعبه ، توسّل إلى الرب واستعطفه ، وطلب من الحكماء أن يفعلوا فعله ، فسمع الرب توسلاته وجعله يتذكّر نص التوراة ، ولهذا قال عنه اليهود " أن عزير ابن الله لأن الله لا يفعل هذا العمل إلاّ مع ابنه " . وفي نهاية القصة ، يذكر أن اليهود بعد مائة سنة من عودتهم وتوبتهم وعبادتهم الرب ، أحيا الرب عزير ثانيةً وكتب لهم التوراة(٧٣) .

وقد ورد اسم عزير في القرآن الكريم في آية واحدة نصها " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون " (٧٤) .

قضايا أخرى تناولها السموأل

خصّص السموءل فصلاً خاصاً من كتابه يتناول فيه "ما يعتقده اليهود في دين الإسلام" وقد ناقش فيه موقف اليهود السلبي من الرسول وكيف أنهم يصفونه بصفات مسيئة، كذلك فهم يتعرّضون للقرآن الكريم بكلام بذيء (75) وبهذا يراهم السموءل وضعوا نفسهم في أشد الذين عادوا الإسلام، وعليه يستحقون غضب الرب.

ومثل هذه الأمور ناقشها أيضاً المستشرق מ.שובה في مجلة תרביץ .ב. תרצ"א. كذلك عرض السموءل رأي اليهود في القرآن وكيف أنهم يرفضون إعجازه، وهو يرفض رأيهم ويكتفي بالقول أنهم طالما لا يتقنون العربية ولا يحسنون التفريق بين الفصاحة والعي فلا يجوز الأخذ برأيهم (٧٦). وهو يرفض أيضاً اتهامهم للقرآن، وبتوجيه تهمة النسخ بقوله أنه تعرض لذلك كثيراً ويكتفي بايراد قضية يوم السبت، وما كنّا قد تناولناه حول قضية النسخ لا حاجة لتكراره.

ويتناول قضية موقف اليهود من الملك داود (٧٧)، ونعرف أنّ الإسلام اعتبر داود نبياً ومثله اعتبر سليمان، ولكن داود عند اليهود يعتبر ملكاً فقط ومثله أيضاً سليمان، حتى أن السموءل يدين اليهود بأنهم أساءوا إلى داود وسليمان بجعلهما أولاد الزنا،

وذلك بما قاله عن إضافة عزرا فصلين إلى التوراة وما ذكره من قصة لوط وابنتيه. وطبعاً حاول السموءل إظهار ما ذكر في التوراة بأنه عملية زنا دون الإعتبار لبعض العادات والتقاليد والتي كانت متبعة في ذلك الوقت وما فرضته الشريعة اليهودية بالنسبة للزواج. وقد يكون السموءل قصد هذه البلبلة في طرح الأمور ليثبت رأيه في تحريف التوراة والمس باليهود، وللطعن بصدق موقفهم من الإسلام.

أما القضية المهمة أيضاً التي يتناولها السموءل فهي التي تقول أن اليهود جعلوا عبد الله بن سلام يرافق الرسول ويعلمه علوم التوراة وفقهها مدة وأن الإعجاز الذي في القرآن هو من عبد الله بن سلام، وأن عبد الله بن سلام قرّر، وعن قصد في شرع النكاح، أنّ الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثالث إلا بنكاح آخر، (وهذا ما عُرِفَ بالمُحلّل) ليجعل أولاد المسلمين "غير شرعيين" ממזרים أي أَولاد الزنا (٧٨).

أخيراً

يمكننا بعد الوقوف على مختلف المواضيع التي تطرّق إليها السموءل المغربي، وكان ابن هشام قد عالجها، أن نقول بثقة: إن السموءل المغربي قد عرف السيرة النبوية واطّلع عليها، وأثارت اهتمامه بالقضايا العديدة التي طرحتها، وأن السموءل

بذكائه، ولكونه سابقاً يهودياً عارفاً بتفاصيل دينه وشريعته، فقد وجد كما يبدو، ليكون كلامه أكثر إقناعاً، أن لا يعتمد في كلامه على روايات وقصص إسلامية جمعها ابن هشام، وإنما يعتمد في إثبات موقفه على نصوص توراتية ونصوص تشريعية يعرفها اليهود ويلتزمون بها.

هكذا استفاد السموءل من ابن هشام، لكنها استفادة جعلته يعرف كيف يتناول المواضيع ذاتها بحجج أخرى، يهودية الجذور ومثبتة في الكتاب المقدس، وليس روايات يتناقلها الناس.

وقد يكون كَونُ السموءل يهودياً قبل إسلامه هو الذي دفعه إلى تجاهل الروايات والقصص الإسلامية التي تدين اليهود، حتى لا يتّهم في موقفه وكأنه مضلل وببَغاء يكرر ما يقوله الغير، وإنما أراد أن يؤكد أن اختياره للإسلام كان عن اقتناع وبصيرة، ولهذا اهتم أن يبرز العديد من التهم والشكوك والإنتقادات لليهود ولكتابهم المقدس الذي بين أيديهم ولمواقفهم المختلفة، خاصة، تلك المعارضة للرسول وللإسلام.

الإشارات

١- התנ"ך - דברים י"ד 2,1. الكتاب المقدس . - العهد القديم والعهد الجديد- إصار دار الكتاب المقدس في العالم العربي ١٩٧٨

٢- القرآن الكريم- سورة البقرة- آية ١٢٢ وآية ٤٧

٣- القرآن الكريم - سورة الجاثية - آية ١٦

٤- ابن هشام- السيرة النبوية، الجزء الثالث، ص٢٠٠

٥- المصدر السابق - ص٢٤٤

٦- القرآن الكريم- سورة المائدة - آية ٥١

٧- السموءل المغربي - إفحام اليهود - ص٣٧

٨- المصدر السابق - ص٣٧

٩- المصدر السابق- ص

١٠- المصدر السابق - ص٣٩

١١- المصدر السابق - ص٣٩-٤٢

١٢- ابن هشام - السيرة النبوية- الجزء الأول، ص ١٦٨

١٣- المصدر السابق - ص ٢٢٦

١٤- المصدر السابق - ص ٢٢٧

١٥- المصدر السابق - الجزء الثاني - ص ١٦٣

١٦- المصدر السابق - الجزء الثالث - ص ٥٠

١٧- المصد ر السابق - الجزء الثاني - ص ٢٠١

١٨- المصدر السابق - ص ١٦٥-١٦٦

١٩- القرآن الكريم - سورة البقرة - آية ٨٩.

وقوله تعالى في سورة البقرة آية ١٥٩ " إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" وقوله في سورة آل عمران آية ٧٠ " يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تعلمون" وغيرها كثير.

٢٠- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ٢٢٠

٢١- السموأل المغربي - إفحام اليهود - ص ٢٣

٢٢- إبن منظور - لسان العرب - الجزء الخامس - ص ٢٧٥، التواتر والختر التواتر - أن يحدّثه واحد عن واحد.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية في مادّة (حديث): " والحديث المتواتر هو ما رواه في كل طبقة جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب وذلك من ابتدائه إلى انتهائه ولم يخالف فيه أحد".

٢٣- السموأل المغربي - إفحام اليهود - ص ٢٥-٢٦ وكذلك ناقش الأمر نفسه ص ١٢ - ١٥

٢٤- المصدر السابق - ص ٢٥

٢٥- المصدر السابق - ص ٢٦

٢٦- المصدر السابق - ص ٢٦

٢٧- المصدر السابق - ص ٢٤

٢٨- المصدر السابق - ص ٢٩

٢٩- المصدر السابق - ص ٣٠ . התנ"ך, בראשית יז, 20

٣٠- المصدر السابق - ص ٣١

٣١- المصدر السابق - ص ٣٣

٣٢- المصدر السابق - ص ٣٤

٣٣- المصدر السابق - ص ٣٥ . התנ"ך, בראשיתת כא, 21

٣٤- المسعودي - معجم البلدان - الجزء الثاني- ص ٢٢٤، فاران من أسماء مكة وهو اسم لجبال مكة، أو جبال الحجاز على رأي ابن ماكولا. وأيضا يذكر : وفاران قرية من نواحي صفد من أعمال سمرقند. وقيل فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية.

٣٥- السموأل المغربي - إفحام اليهود - ص ٣٦

٣٦ - تفسير الجلالين للقرآن الكريم - ص٢٢.

٣٧- القرآن الكريم - سورة البقرة - آية ١٠٦

٣٨- إبن منظور - لسان العرب - الجزء الثالث، ص٦١.

٣٩- الغزالي - المستصفى من علم الأصول - ص٧٢و٧٥.

٤٠- الأشعري - مقالات الإسلاميين - ص٦٠٧ - ٦١١.

٤١-إبن كثير - تفسير القرآن - ص ١٤٩ - ١٥١

٤٢- القرآن الكريم - سورة النحل ، آية ١٠١

٤٣- القرآن الكريم- سورة الأعلى، آية ٦-٧

٤٤- المصدر السابق - سورة الحج ،آية ٥٢

٤٥- السموءل المغربي - إفحام اليهود - ص٧

٤٦- المصدر السابق - ص٨
٤٧- المصدر السابق - ص١٠-١١ .
٤٨- السموءل المغربي - إفحام اليهود - ص١٦ - ١٧ .
٤٩ - المصدر السابق .
٥٠- المصدر السابق - ص٢٠ - ٢١ .
٥١- المصدر السابق .
٥٢- المصدر السابق - ص٢٢ .
٥٣- الأشعري - مقالات الإسلاميين - ص٦٠٧ - ٦١١ .
٥٤- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص٤٧ .
٥٥- ابن حزم - الفصل في الملل والأهواء والنحل - الجزء الأول، ص١٩٣ .
٥٦ , ٥٧ , ٥٨، ٥٩، ٦٠- - المصدر السابق - ص١٩٧ .
٦١، ٦٢- المصدر السابق - ١٩٧ - ١٩٨
٦٣- المصدر السابق - ص٢١١- ٢١٦ .
٦٤- السموءل المغربي - إفحام اليهود - ص٤٨ - ٤٩ .
٦٥- ابن حزم - الفصل في الملل والأهواء والنحل - الجزء الأول، ص١٩٤ - ١٩٧ . والسموءل المغربي -إفحام اليهود - ص٥٥ .
٦٦- ابن حزم - المصدر السابق - الجزء الأول - ص١٩٧ .
٦٧، ٦٨- السموءل المغربي - إفحام اليهود - ص٥١ .
٦٩- المصدر السابق - ص ٥١

٧٠- المصدر السابق - ص٦٢ .

٧١- المصدر السابق - ص٦٢ - ٦٣ .

٧٢- المصدر السابق -ص٦٣ .

٧٣- دائرة المعارف الإسلامية -مادّة عُزَير

٧٤- القرآن الكريم - سورة التوبة - آية ٣٠

٧٥- السموأل المغربي - إفحام اليهود - ص ٦٧

٧٦- المصدر السابق - ص ٦٥

٧٧- المصدر السابق - ص ٥٩ - ٦٥

٧٨- المصدر السابق - ص ٥٨

مصادر البحث

ابن هشام - السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة الثالثة بيروت١٩٧١.

ابن سعد - كتاب الطبقات الكبيرة، عني بتصحيحه وطبعه: أدوارد سخو، ليدن ١٣٢١ هجرية.

الطبري - تاريخ الأمم والملوك - بيروت ب.ت

ابن حزم -كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة ١٣١٧ هجرية.

وات، مونتجومري - محمد في مكة، تعريب: شعبان بركات، بيروت ب.ت.

وات. مونتجومري- محمد في المدينة، تعريب: شعبان بركات، بيروت ب.ت.

بروكلمان،كارل- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي، طبعة سادسة، بيروت ١٩٧٤.

علي ، جواد - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة أولى ، بيروت ١٩٧٣.

رودلف،فلهلم ١٩٧٤- صلة القرآن باليهودية والمسيحية، ترجمة عصام الدين ناصيف، بيروت ١٩٧٤.

هيكل ، محمد حسين -،حياة محمد، طبعة ثانية، القاهرة ١٩٣٦.
حتي ، فيليب - تاريخ العرب، بيروت ١٩٦٢
دروزة، محمد عزة - تاريخ الجنس العربي، طبعة ١ ، بيروت ١٩٦٢.
كيرك، جورج - موجز تاريخ الشرق الأوسط، ترجمة عمر الإسكندري ، القاهرة ب.ت.
ابن خلدون ، عبد الرحمن -المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨١،
بشير، سليمان - مقدمة في التاريخ الآخر، الطبعة الأولى، القدس ١٩٨٤.
الجلالين - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. **تفسير القرآن الكريم**، بيروت ١٩٦٨.
جولدتسهير - العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، طبعة ثانية، القاهرة ١٩٥٩.
السموءل المغربي- إفحام اليهود،- نيويورك ١٩٦٤.
الأشعري - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عني بتصحيحه هلموت ريتر ، طبعة ثانية، ١٩٦٣.

لابوم ،جـول- تفـصـيل آيات القـرآن الكريم، القـاهرة ١٩٦٩.

ابن كثير- تفسير القرآن، ب.ت.

الغزالي – المسـتـصـفى من علم الأصـول، طبـعـة أولى، القاهرة ١٩٣٧.

התנ"ך - הוגה ע"י : נורמן הנרי סנאיית. 1977

למנס, הנרי - האסלאם, תרגם אפרים הרפז ו יוסף ריבלין. ירושלים 1966.

יפה, חוה לצרוס יפה - פרקים בתולדות הערבים והאסלאם, הפרק על מוחמד, מאת שלמה דב גויטיין, תל-אביב 1970.

יפה, חוה לצרוס יפה, האסלאם, תל-אביב 1980.

Encyclopedia of Islam.

Lewis Bernard, The Arabs in History.

H.A.R. Gibb, Islam, Oxford , New York 1984.

S.D. Gotein, Religion in a Religious age, 1974.

Perlman Moshe, The Medieval Polemics between Isslam and Judaism.

صدر للمؤلف

في النقد الأدبي

١- دراسات في القصة المحلية، الأسوار، عكا ١٩٧٩

٢-دراسات في الأدب الفلسطيني المحلي، الأسوار، عكا ١٩٨٧

٣-إضاءة على الشعر الفلسطيني المحلي، المشرق، شفاعمرو ١٩٨٧

٤-القصة الفلسطينية في مواجهة حزيران، المشرق، شفاعمرو ١٩٨٩

٥-حركتنا الشعرية إلى أين؟ دار الهدى، كفر قرع ١٩٩١

٦-في الرواية الفلسطينية، دار الهدى، كفر قرع ١٩٩١

٧-الرواية التاريخية عند نجيب محفوظ، الناصرة ١٩٩٣

٨-المثقف العربي في مواجهة الواقع، المشرق، شفاعمرو ١٩٩٤

٩-في الإبداع المسرحي، دراسات نقدية، المشرق، شفاعمرو ١٩٩٤

١٠-مراودة النص، دراسات نقدية، المشرق، شفاعمرو ٢٠٠١

قصص قصيرة

١١-إبتسمي يا قدس، قصص قصيرة، الأسوار، عكا ١٩٧٨

١٢-آه يا زمن!، قصص قصيرة، مطبعة أبو رحمون، عكا ١٩٩٧

(قصص مجموعة "آه يا زمن" وثلاث قصص من مجموعة

"إبتسمي يا قدس" تُرجمت للغة الروسية وصدرت عن جامعة سانت بطرسبرغ الحكومية، في روسيا، عام (٢٠٠١).

أبحاث في: التاريخ، المجتمع والثقافة

١٣-واقع الدروز في إسرائيل، دار الأيتام، القدس ١٩٧٦

١٤-لغز إخوان الصفا، مطبعة الرامة، الرامة ١٩٩١

١٥-هذا الزمن العربي، مطبعة الرامة، الرامة ١٩٩١

١٦-الدروز في إسرائيل في البعد التاريخي والراهن، حيفا ١٩٩٥

١٧-دراسات في التراث العربي، دار الهدى، كفر قرع ١٩٩٦

١٨- في الهمّ الثقافي، دار المشرق، شفاعمرو ١٩٩٦

كتب تعليمية

١٩-النصوص التحليلية، مطبعة الشرق، القدس ١٩٧٢

٢٠-ملاحظات في قواعد اللغة العربية، مطبعة الرامة، الرامة ١٩٨٩

٢١-نافذة على الأدب العربي الحديث، مطبعة الرامة، الرامة ١٩٩١

مؤلّفات الدكتور نبيه القاسم

- النصوص التحليلية - مطبعة الشرق - القدس 1972
- واقع الدروز في إسرائيل - دار الأيتام - القدس 1976
- إبتسمي يا قدس - قصص قصيرة - الأسوار، عكا، طبعة أولى 1978، طبعة ثانية - أبو رحمون - عكا - 1993
- دراسات في القصة المحلية، دراسات نقدية - الأسوار - عكا 1979
- دراسات في الأدب الفلسطيني المحلي - الأسوار، عكا 1987
- إضاءة على الشعر الفلسطيني المحلي، دراسات نقدية، المشرق، شفاعمرو 1987
- القصة الفلسطينية في مواجهة حزيران، دراسات نقدية، المشرق 1989
- حركتنا الشعرية إلى أين؟ ، دراسات نقدية، - دار الهدى - كفر قرع 1991
- في الرواية الفلسطينية، دراسات نقدية، - دار الهدى - كفر قرع 1991
- لغز إخوان الصفا - مطبعة الرامة - الرامة 1991
- هذا الزمن العربي! - مطبعة الرامة - الرامة 1991
- نافذة على الأدب العربي الحديث - الرامة 1991
- الرواية التاريخية عند نجيب محفوظ - الناصرة 1993
- المثقف العربي في مواجهة الواقع - دراسات نقدية - المشرق، شفاعمرو 1994
- في الإبداع المسرحي - دراسات نقدية، المشرق، شفاعمرو 1994
- الدروز في إسرائيل : في البعد التاريخي والراهن - حيفا 1995
- دراسات في التراث العربي - دار الهدى - كفر قرع 1996
- في الهمّ الثقافي - المشرق، شفاعمرو 1996
- آه يا زمن! - قصص قصيرة - أبو رحمون - الطبعة الأولى عكا 1997
- مراودة النص - دراسات نقدية في الأدب الفلسطيني - الرواية - القصة - النقد، المشرق، شفاعمرو 2001